أسئلة مشكلة في القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

أسئلة مشكلة في القدر

الطبعة الأولى

1443هـ - 2022م

رقم الإيداع

2021/28143

الترقيم الدولي: 978-977-744-408-8 **I.S.B.N**

الدار العالمية للنشر والتوزيع

ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١-٣١ ش الصالحي-محطة مصر - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٠٥٤٠٦٤٠٣ ٢+/ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٢٠٣+/ تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٢٠٣+

E-mail: alamia_misr@hotmail.com

أسئلة مشكلة في القدر

قدم له: فضيلة الأستاذ الدكتور

محمد حسن عبد الغفار

كتبه: أبو عبدالله

محمد أنور مرسال

الدار العالمية للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

((إهداء)):

أ ـ إهداء إلى روح والدتي ووالدي (رحمهما الله):

أسأل الله أن يرضى عنكما، وأن يجمعني بكما في جنة الفردوس.

ب ـ إهداء إلى كل مشايخي الذين لهم الفضل عليَّ، أقول لهم جميعًا:

جزاكم الله عني خير الجزاء؛ فقد علمتموني عقيدة السلف الصافية في باب القدر؛ فلكم مِنَّةٌ في عنقي لا أستطيع الوفاء بها، أسأل الله أن يجازيكم بها عني، وأن يرضى عنكم جميعًا، وكفى بالله وكيلًا.

ج ـ إهداء إلى زوجتي الغالية، أقول لك:

جزاكِ الله عني خيرًا.

د ـ إهداء إلى كل إخواني وأقراني الذين عشتُ معهم خير الأوقات في طلب العلم:

أُشهد الله أني أحبكم في الله، جمعنا الله بهذه المحبة في ظل عرشه يوم لا ظلَّ إلا ظله!

مُقدِّمة أستاذنا وشيخنا وحبيبنا فضيلة الشيخ
الأستاذ الدكتور: محمد حسن عبد الغفار (حفظه الله)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فعلم العقيدة والتوحيد هو أشرف العلوم، وإن بوابة العلم إتقان العقيدة، ومن أهم أبواب العقيدة وأدقِّها: " باب الإيمان القدر "

وتكمن أهمية الإيمان بالقدر في أمور كثيرة، ومنها:

أ ـ أنه ركن من أركان الإيمان الستة:

كما في حديث جبريل عليه السلام قالَ: ((...فأَخْبِرْنِي عَنِ الإيمانِ، قالَ: « أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ، » قالَ: صَدَقْتَ.......)) [1].

وفي رواية: ((...وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ......)) [2].

ب ـ ولا يصح الإيمان مِن دونه:

فمن لم يؤمن بالقدر فقد كفر وهدم إيمانه؛ ولذلك لما سُئل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن قوم يقولون:

---

(1) ـ رواه البخاري (50)، ومسلم (8) وهذا لفظ مسلم.
(2) ـ رواه مسلم (10).

(وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ [1])

قال رضي الله عنهما : ((فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ، مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ ...)) [2].

ج ـ دراسة هذا الباب على وَفق منهج أهل السنة والجماعة حماية للأمة من الانحراف بين مناهج أهل البدع والضلالات في باب القدر

وإن من الأهمية بمكانٍ أن يتعلم الإنسان ما يحصِّن نفسه من شُبه المؤولين والمحرفين الزائغين في باب القدر.

د ـ أنه باب عظيم قد ضلت فيه أفهام، وزلت فيه أقدام؛ فقد أخطأ فيه علماءُ وعبادٌ وزُهَّادٌ:

وهذا الباب الدقيق مداره على الاستسلام لله والسير خلف الدليل، وإن الذي يُعْمِل عقله في مسائل القدر يتخبط في بحر الحيرة.

وهذا الباب الدقيق فيه " أسئلة مُشْكِلة " على كثير من الناس، ويخفى جوابها على كثير منهم.

وقد قام أخي الفاضل الكريم البَحَّاثة فضيلة الشيخ الأستاذ:

(محمد أنور مرسال) بجمع أشهر هذه الأسئلة المشكِلة، وأجاب عنها

---

[1] ـ **يعني:** مستأنف غير معلوم لله قبل أن يقع.

[2] ـ رواه ومسلم (8)

على وَفق منهج أهل السنة والجماعة، بأسلوبٍ ماتعٍ جمع فيه بين سهولة العبارة والتأصيل العلمي لمنهج أهل السنة، مع ضرْب الأمثلة، وذِكر تطبيقات عملية، فأجلى الأجوبة على الأسئلة المشكِلة بدلائلها من الكتاب والسُّنَّة بأسلوب سهل، فأفاد فيه وأجاد، ثم ختم كتابه ببعض الآثار عن السلف، فيها قَمْعٌ ونِكايةٌ لمنكري القدر، فجزاه الله خيراً، وأسأل الله ﷻ أن يشكر له مجهوده، وأن يجعل ذلك في موازين حسناته، وأن يجعله ممن ينشرون السنة ويحاربون البدعة.

وجملة القول: أنه بحث نافع في بابه، أسأل الله أنْ يجعله نفعًا لطلبة العلم، ونفعًا للمسلمين جميعًا.

وأسأله سبحانه أن يرزقنا التمسك بالكتاب والسنة، والتمسك بهدي النبي ﷺ، والعضَّ على ذلك بالنواجذ، وأن يُجَنِّبَنا البدع والزلل والخَطَل، وأن يجمعنا بسيدنا وأسوتنا وقدوتنا محمد ﷺ في دار كرامته.

وأسأله سبحانه أن يكتب لكاتبه أجرًا طيبًا مباركًا عنده، وأن يجعلنا وإياه من مُصَاحِبين (معاذ بن جبل رضي الله عنه) تحت راية العلماء، مرافقين للأنبياء والصديقين والشهداء، ووفَّق الله الجميع لكل خيرٍ وبِرٍّ.

وكتبه / أبو عبد الله

أ.د. (محمد حسن عبد الغفار)

مقدمة المصنف ((عفا الله عنه)):

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بيده: الإيجاد والإنشاء، والإماتة والإحياء، والإعادة والإبداء، والإنعام والآلاء، والعافية والبلاء، عالم السر والجهر، وقاصم الجبابرة بالعز والقهر[1].

الحمد لله العلي الكبير، العليم الخبير، مُقَدِّر المقادير، قَدَّر مَقَادِير الخلائق، فلم يُبْقِ ولم يَذَرْ، وكل شيء عنده بِقَدَر، أجْرَى مقاديره على كل شيء حتى الريح والمطر، وحتى على غرْز الإبر.

الحمد لله الذي عاقب المكذِّبين بالقدر، وجعلهم عبرة لمن اعتبر، وآية لكل البشر، ومَن تاب منهم صفح عنه وغفر.

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدَّره، وأثبت في أُمِّ الكتاب ما أراده وسطَّره، فلا مؤخِّر لما قدَّمه، ولا مقدِّم لما أخَّره.

الحمد لله الذي جعل مَن آمن بالقدر يعيش في صَفْوٍ بعيدًا عن الكَدَر، ومَن أعمل عقله فيه وقدَّمه على الخبر ضلَّ وأضلَّ وضاع عمره في هَدْر، وغرق في الأوهام والظنون، وعاش عمره وهو مغبون.

فسبحان مَن أَمْرُه بين الكاف والنون، وإذا أراد شيئًا فإنما يقول له: كن فيكون، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

([1]) ـ وهذا الكلام للإمام ابن الجوزي - رحمه الله - من كتابه (التبصرة).

وأشهد أن لا إله إلا الله، لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ النبي الكريم، والرسول الأمين، الذي أدى أمانته، وبلغ رسالته، واختزل دعوته شفاعةً لأمته، أرشدنا إلى طريق الهداية، وحذرنا من طريق الظلمات والغواية.

حذر الأمة من طريق القدرية [1]، وبيَّن أنهم من شر البرية، ونهى أمته عن الضلال في القدر، وحذرها من ذلك أشد الحذر.

صلوات ربي وسلامه عليه، أما بعد:

فقد امتن الله جل جلاله على عبده الفقير بشرح " باب القدر " وكان آخر فصل في هذا الشرح بعنوان: ((أسئلة مُشكِلَة في القدر)) جمعتُ فيه بعض الأسئلة المشكِلة في باب القدر، فأشار عليَّ بعض الأحباب أن أجمعها في كتاب منفصل، ففرغها بعض إخواني الأفاضل، فجزاهم الله عنا خير الجزاء، وقد خرَّجتُ أحاديثها، وعزوتُ مراجعها، وقد قسمتُها إلى أسئلة على ما يلي:

السؤال الأول: ((هل يُنسب الشر إلى الله جل جلاله ؟))

السؤال الثاني: ((ما الحكمة من تقدير المعاصي والذنوب ؟))

السؤال الثالث: ((ما الحكمة من تقدير البلاء ؟))

([1]) ـ وقد ورد في الباب أحاديث، وهي أحاديث مُختلَف فيها، من العلماء مَن ضعَّفها مطلقًا، ومنهم مَن حسَّن بعضها، ومنها: ((سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر)) رواه أحمد (5639)، وأبو داود (4613). ومنها: ((القدرية مجوس هذه الأمة .....)) رواه أحمد (5584)، وأبو داود (4691).

السؤال الرابع: ((كيف [1] يكون في مُلك الله ما لا يحبه الله ؟))

السؤال الخامس: ((هل الإنسان مُسيَّر أو مُخيَّر ؟))

السؤال السادس:

((هل الإيمان بالقدر يتعارض مع كون الإنسان صاحب مشيئة ؟))

السؤال السابع: ((ما الحكمة من وجود الكفر ؟))

السؤال الثامن: ((ما الحكمة من وجود إبليس وهو رأس الشر ؟))

السؤال التاسع: ((هل القدر السابق يقتضي ترك العمل ؟))

السؤال العاشر:

((هل يسوغ الاحتجاج بالقدر على الكفر والمعاصي والتقصير ؟))

السؤال الحادي عشر: ((احتجاج آدم ﷺ وموسى ﷺ))

السؤال الثاني عشر: ((إذا كان الله سبحانه وتعالى أراد وقَدَّر وكتب المقادير وأعمال الناس، ففيم يعذبهم وقَد قَدَّر عليهم أعمالهم التي يُعذَّبون عليها ؟!))

وقد سميته: **((أسئلة مُشْكِلَة في القَدَر))**

((فإن يكُ صوابٌ فمن الله، وإن يَكُ خطأٌ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان)) [2]

([1]) ـ نذكر السؤال بصيغة (كيف) على سبيل التعليم، وإلا فالأصل: ﴿ لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾.

([2]) ـ **صحيح:** وهو من كلام ابن مسعود رضي الله عنه: رواه أبو داود (2116)، وورد نحوه عن الصِّدِّيق رضي الله عنه .

ورحم الله مَن بصرني بعيبي؛ إذ ((الدين النصيحة)) [1]، ((والمؤمن مرآة المؤمن)) [2].

هذا، والله أسألُ أنْ يوفِّقني، ويُنْعِم على عبده المسكين بالوصول إلى مراده ﷻ، وأن يجعل هذا المبحث خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به والمسلمين؛ إنه جواد كريم، وهو بالإجابة كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلِّ اللهم وسلِّم وبارِك على محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه: أبو عبد الله السكندري المصري

محمد أنور محمد مرسال

الاثنين / الثالث من شهر رجب (1442 هـ)

الموافق: 15 / فبراير/ 2021 م

(1) ـ رواه مسلم (55)، وأبو داود (4944)، وغيرهما.

(2) ـ **حسن:** رواه البخاري في (الأدب المفرد) (238).

تمهيد

باب القدر دَحْضُ مَزِلَّةٍ، فكم زلت فيه أقدام! وتحيرت فيه أفهام! وضل مَن ضل فيه من الأنام! ومَن رام وأراد الدخول في هذا الباب فحتمًا ولا بد أن يتحلى بأمور، هي له جُنَّة ووقاية من الزلل والخلل، ومن هذه الأمور:

أولًا: ((الله لا يُسأَل عما يفعل جَلَّ جَلَالُهُ)):

الله جَلَّ جَلَالُهُ لا يُسأل عما يفعل؛ فالخلق خلقه، والملك مُلكه، يفعل ما يشاء جَلَّ جَلَالُهُ قال الله جَلَّ جَلَالُهُ:﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ {الأنبياء:23}

يقول الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره لهذه الآية:

((لَا سَائِلَ يَسْأَلُ رَبَّ الْعَرْشِ عَنِ الَّذِي يَفْعَلُ بِخَلْقِهِ مِنْ تَصْرِيفِهِمْ فِيمَا شَاءَ مِنْ: حَيَاةٍ، وَمَوْتٍ، وَإِعْزَازٍ، وَإِذْلَالٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حُكْمِهِ فِيهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ خَلْقُهُ وَعَبِيدُهُ، وَجَمِيعُهُمْ فِي مِلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَالْحُكْمُ حُكْمُهُ، وَالْقَضَاءُ قَضَاؤُهُ، لَا شَيْءَ فَوْقَهُ يَسْأَلُهُ عَمَّا يَفْعَلُ، فَيَقُولُ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ ؟ وَلِمَ لَمْ تَفْعَلْ ؟

﴿ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ:

وَجَمِيعُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ عِبَادِهِ مَسْئُولُونَ عَنْ أَفْعَالِهِمْ، وَمُحَاسَبُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَهُوَ الَّذِي يَسْأَلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَيُحَاسِبُهُمْ عَلَيْهِ؛

لِأَنَّهُ فَوْقَهُمْ وَمَالِكُهُمْ، وَهُمْ فِي سُلْطَانِهِ ...)) [1].

ثانيًا: ((التوقيف)):

باب القدر هو باب توقيفي، ومَن دخل في باب القدر فلا بد أن يسير خلف الدليل: يستدل ثم يعتقد؛ فمدار الاعتقاد في القدر: التوقيف السمعي.

قال أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

((سَبِيلُ مَعْرِفَةِ هَذَا الْبَابِ: التَّوْقِيفُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ دُونَ مَحْضِ الْقِيَاسِ وَالْعَقْلِ، فَمَنْ عَدَلَ عَنِ التَّوْقِيفِ فِيهِ ضَلَّ وَتَاهَ فِي بِحَارِ الْحِيرَةِ، وَلَمْ يَبْلُغْ شِفَاءَ الْعَيْنِ، وَلَا مَا يَطْمَئِنُّ بِهِ الْقَلْبُ؛ لِأَنَّ الْقَدَرَ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ تَعَالَى، اخْتُصَّ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ بِهِ، وَضَرَبَ دُونَهُ الْأَسْتَارَ، وَحَجَبَهُ عَنْ عُقُولِ الْخَلْقِ وَمَعَارِفِهِمْ لِمَا عَلِمَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ، فَلَمْ يَعْلَمْهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَقِيلَ: إِنَّ سِرَّ الْقَدَرِ يَنْكَشِفُ لَهُمْ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ، وَلَا يَنْكَشِفُ لَهُمْ قَبْلَ دُخُولِهَا)) [2].

ثالثًا: ((التسليم التام)):

فمسائل القدر فيها بعض المسائل التي قد تُشْكل، ويقذف الشيطان في قلب الإنسان الوساوس والشبهات؛ فلا بد في الباب من التسليم التام.

---

[1] ـ تفسير الطبري (8 / 20) ط (دار الحديث) القاهرة.

[2] ـ شرح النووي على صحيح مسلم (8 / 450) حديث رقم (2648) ط (دار أبي حيان)، فتح الباري، ابن حجر (11 / 561) مقدمة كتاب القدر، رقم كتاب القدر (82) ط (دار الحديث) القاهرة.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ:

((وَمن السنة اللَّازِمَة الَّتِي مَن ترك مِنْهَا خصْلَةً لم يقبلهَا ويؤمن بهَا، لم يكن من أَهلهَا: الْإِيمَان بِالْقدرِ خَيره وشره، والتصديق بالأحاديث فِيهِ وَالْإِيمَان بهَا، لَا يُقَال: لم؟ وَلَا: كَيفَ؟

إِنَّمَا هُوَ التَّصْدِيق وَالْإِيمَان بهَا، وَمن لم يعرف تَفْسِير الحَدِيث ويبلغه عقله، فقد كُفي ذَلِك، وَأُحكِم لَهُ، فَعَلَيهِ الْإِيمَان بِهِ وَالتَّسْلِيم)) [1].

رابعًا: ((استحضار أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يظلم الناس شيئًا)):

ينبغي ولا بد للمسلم في أبواب القدر أن يستحضر المسلم عدل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التام وكمال أفعاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأنه لا يظلم الناس شيئًا؛ لكمال عدله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ {النحل:118}

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ {النحل:33}

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ {النساء:40}

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ {يونس:44}

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ {الزخرف:76}.

(1) ـ أصول السنة، للإمام أحمد بن حنبل (صـ 37 ، 38) طـ (دار السلام) القاهرة.

خامسًا:(استحضار أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يفعل الأشياء إلا لحكمة عظيمة):

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يفعل الأشياء إلا لحكمة عظيمة، ولا يُقدِّر المقادير إلا لحِكم جليلة، علمها مَن علمها، وجهلها مَن جهلها، وهذه المعرفة الإجمالية في مسألة الحكمة تكفيك.

سادسًا: ((استحضار العبودية لله جَلَّ جَلَالُهُ)):

فعند الكلام في باب القدر: ينبغي على المسلم أن يستحضر عبوديته لله جَلَّ جَلَالُهُ، وأنَّ يعرف قدْر نفسه: بأنه عبد مربوب لخالقه، ومولاه مُقدِّر المقادير، وهو على كل شيء قدير، وفعَّال لما يريد؛ فيقف العبد المربوب المخلوق عند حدوده، ويعرف قدْر خالقه ومولاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

سابعًا:((الالتزام بفهم الصحابة وأهل السنة، والسَّيْر على أصولهم)):

وهذا من أهم الأمور في باب القدر:

((الالتزام بفهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ))

لأنهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أعلم الأمة بنصوص الكتاب والسنة، وأحرصها على الخير، وأعظمها اتباعًا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد تعلموا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مباشرة، ونزل بينهم القرآن، وقد عدَّلهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعدَّلهم رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكذلك **((الالتزام بفهم أهل السنة والجماعة رحمهم الله))**

لأنهم اتبعوا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بإحسان، وساروا على دَرْبهم، واقتفوا أثرهم في فهْم هذا الباب.

فإذا أردت أخي الحبيب ـرحمنا الله وإياكـ أن تتعلم باب القدر، فعليك بهذه الأمور التي ذكرتُها لك؛ فهي جُنَّةٌ ووقايةٌ من الانحراف في هذا الباب الذي زلَّت فيه أقدام، وضلَّت فيه أفهام، والمعصوم مَن عصمه الله سبحانه وتعالى.

وبالله التوفيق ...

((السؤال الأول)):

هل يُنْسب الشر إلى الله جَلَّ جَلَالُهُ ؟

قبل الدخول في غِمار هذا السؤال، هناك أصول عقدية مهمة لا بد أن يعتقدها المسلم ويستحضرها حيالَ هذا السؤال، ومنها:

((الأصل الأول)):

((أفعال الله جَلَّ جَلَالُهُ بلغت الغاية في الكمال والحسن))

الله جَلَّ جَلَالُهُ له الكمال المطلق: فله الأسماء الحسنى [1]، وله الصفات العُلا الحسنى [2]، وأفعال الله جَلَّ جَلَالُهُ حُسنى، بلغت الغاية في الكمال والحسن، وهي كمال مطلق [3]؛ لأنها تدور بين الفضل والعدل.

((الأصل الثانى)):

((أفعال الله جَلَّ جَلَالُهُ يفعلها لحِكَم عظيمة))

إذا قلنا أنَّ أفعال الله جَلَّ جَلَالُهُ حُسنى، فما من فعلٍ يفعله ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلا وفَعَله

---

(1) ـ كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ {الأعراف:180}.
كما قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ {طه: 8}.

(2) ـ كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ﴾ { النحل:60} على وجه من وجوه التفسير: أن معنى المثل الأعلى: الوصف الأعلى

(3) ـ كما قال تعالى: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ {السَّجْدَةِ: 7}، وَقَالَ: ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ { النَّمْلِ: 88}.

لحِكْمة عظيمة جليلة، علمها مَن علمها، وجهلها مَن جهلها، كما دلت عليه النصوص الكثيرة [1] مما سبق ذِكرها [2].

((الأصل الثالث)):

((الشر ينقسم إلى قسمين: شر محض، وشر نسبي))

اعلم ــ رحمنا الله وإياك ــ أنَّ الشر ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: شر محض لا خير فيه قطُّ.

القسم الثاني : شر نسبي، أي: شر من وجه، وخير من وجه.

([1]) ـ **ومن هذه الدلائل:**

أ ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْتَ **الْحِكْمَةَ** فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ {البقرة:269}.

وجه الاستدلال: واهب الكمال أَوْلى به سبحانه وتعالى .

ب ـ آيات فيها التعليل بصوره كما قال تعالى:﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ **لِئَلَّا** يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا **حَكِيمًا** ﴾ {النساء:165}

وجه الاستدلال: ((**لِئَلَّا**)) هذه لام التعليل، واعلم أنه قد وردت في القرآن آيات كثيرة بلام التعليل على وَفق هذا المنوال، وقد تأتي بصيغة أخرى، ومنه قوله تعالى: ﴿ مِنْ **أَجْلِ ذَٰلِكَ** كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ...... ﴾ { المائدة:32} وغير ذلك من النصوص الكثيرة في الباب.

([2]) ـ وقد سبق وتكلمنا عن مسألة الحكمة والتعليل في أفعال الله سبحانه وتعالى، وبينّا ــ بحول الله ــ مذهب أهل السنة والطوائف المخالفة، في مبحث مستقل في كتاب:

((المختصر في مباحث القدر))، وهذه الأسئلة في هذا المبحث هي الفصل الأخير من الكتاب، يسَّر الله نشره.

نعود إلى السؤال: هل يجوز أن ننسب الشر إلى الله تبارك وتعالى ؟

بناءً على الأصول التي ذكرناها: فالشرور التي وُجدت منذ بدء الخليقة إنما جُعلت لحكمة، وكما قلنا: الشر ينقسم إلى قسمين: شر محض لا خير فيه قطُّ، وشر نسبي: هو شر من وجه، وخير من وجه آخر.

((سؤال)):

كيف يكون الشر فيه خير ؟

((الجواب)):

هناك أمثلة كثيرة على ذلك، ومنها:

((المثال الأول)):

((البَلاء)): البلاء شر، لكن هل هو شر نسبي أو شر محض ؟

((الجواب)):

هو شَر من وجه، وخير من وجه.

((هو شَر من وَجْه)) فالبلاء شر للمُبتَلَى من جهه الآلام والأحزان وما شابه ذلك.

((وخير من وجه)): البلاء خير من وَجْه آخر: فبه تُرفع الدرجات، وتُكفَّر السيئات، وبه تكون العِبَر والعِظَات.

((المثال الثانى)):

((قَطْع يد السارق)): هذا بلا شك فيه شر لمن قُطعت يده، لكن

هو خير بالنسبة للناس؛ لما فيه من حِفظ أموالهم، ولما في ذلك من ردع الذين يتجرؤون على أموال الناس.

((المثال الثالث)):

((خلق إبليس)): وجود إبليس هو شر، ولكن يترتب على هذا الشر خير: كمجاهدة النفس، وتثقيل موازين المؤمنين، فضلًا عن اختبار العباد، ومعرفة مَن الصادق المِطْوَاع لله، ومَنْ الكاذب المُتَّبِع لشيطانه وهواه.... إلخ.

((خلاصة الكلام)):

ربنا ﷻ لم يخلق شرًا محضًا، وإنما ربنا ﷻ إذا خلق يخلق ﷻ ما فيه الخير وما فيه الشر.

نعود إلى السؤال: هل يجوز أن ننسب الشر إلى الله تبارك وتعالى ؟

اعلم أخي الحبيب ــرحمنا الله وإياكــ أنَّ مردَّ هذه المسألة يتعلق ببعض الأدلة التي ظاهرُها التعارضُ في هذه الباب.

فهناك أدلة تثبت أن من القدر ما هو خير ومنه ما هو شر، وهناك أدلة تنفي الشر عن الله ﷻ.

((أولًا)): أدلة فيها إثبات الشر في القدر:

والأدلة في هذا الباب تنقسم إلى قسمين:

أ ـ أدلة خاصة. ب ـ أدلة عامة.

أ ـ الأدلة الخاصة، ومنها:

((الدليل الأول)):

قال الله ﷻ في قصة نوح ﷺ:

﴿ لَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ {هود:34}.

وجه الاستدلال:

إثبات الإغواء في تقدير الله، وهو شر.

((الدليل الثانى)):

حديث جبريل –في الصحيح– عندما سأله جبريل عن الإيمان؛ حيث قال: أخبرني عنِ الإيمانِ، قالَ:

((الإيمانُ أن تُؤْمِنَ باللَّهِ وملائِكَتِهِ وَكُتبِهِ ورسلِهِ واليومِ الآخرِ، والقدرِ كلِّهِ خيرِهِ وشرِّهِ)) [1] .

وجه الاستدلال:

قوله: (خيره وشره)، وهذا فيه تصريح بأن القدر فيه الشر.

((الدليل الثالث)):

عن عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أنه قال: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(1) ـ رواه أحمد (367)، مسلم (8)، وأبو داود (4695)، والترمذي (2610)، والنسائي (4990)، وابن ماجه (63)، وهذا لفظ أحمد.

((كُلُّ شيءٍ بقَدَرٍ، حتَّى العَجْزِ وَالْكَيْسِ -أَوِ:الكَيْسِ وَالْعَجْزِ-)) [1]

العَجْزُ: هو عدم القدرة، وقيل: هو ترْك ما يجب فِعله بالتسويف.

الكَيْسُ: هو: ضد العجز، أي: النشاط، والحذق بالأمور [2].

وجه الاستدلال: أنَّ العجز من الشر.

برهان ذلك:

أنَّ النبي ﷺ كان يستعيذ من العجز: كما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول:

((اللهمَّ إِنِّي أعوذُ بك من: العجزِ، والكسلِ، والجبنِ، والبخلِ، والهرمِ، والقسوةِ [3]، والغفلةِ [4]، والعيْلةِ [5]، والذِّلةِ [6]، والمسكنةِ [7]، وأعوذُ بك من: الفقرِ، والكفرِ، والفسوقِ، والشِّقاقِ [8]، والنفاقِ [9]،

---

(1) ـ رواه مسلم (2655).

(2) ـ شرح النووي على صحيح مسلم، تحت الحديث رقم: (2655).

(3) ـ هي: غِلظة القلب، وأن يتصف الإنسان بأنه قاسي القلب، لا ينتفع بالموعظة، ولا يرحم مَن يستحق الرحمة.

(4) ـ هي: غياب الشيء عن بال الإنسان، وعدم ذِكره.

(5) ـ هي: الفقر.

(6) ـ هي: الهوان على الناس، وأن ينظروا إلى الإنسان بعين الاحتقار والاستخفاف به.

(7) ـ هي: قلة المال وسوء الأحوال.

(8) ـ مخالفة الحق.

(9) ـ أن يُظهِر الإنسان خلاف ما يُبطِن، وهو قسمان: نفاق أكبر: وهو النفاق الاعتقادي، وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر، ومنه الأصغر: وهو النفاق العملي.

والسُّمْعَةِ [1]، والرياءِ [2]، وأعوذُ بك من الصَّمَمِ [3]، والبُكْمِ [4]، والجنونِ [5]، والجُذامِ [6]، والبَرَصِ [7]، وسيِّئِ الأسقامِ)) [8].

وجه الاستدلال:

أن هذه الأمور التي استعاذ منها النبي ﷺ -كـ (العجزِ، والكسلِ، والذِّلةِ، والقسوةِ، والغفلةِ، والعَيْلةِ، والمسكنةِ، والكفرِ، والفسوقِ، والرياء، والشِّقاقِ، والنفاقِ، والسمعةِ، والبُكمِ، والجنونِ، والجُذامِ، والبَرَصِ، وسيِّئِ الأسقامِ)- شر، وهي من تقدير الله ﷻ.

((الدليل الرابع)):

قال الله ﷻ: ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ {يونس:107}

---

(1) ـ أن يعمل العمل خُفية، ثم يُنوِّه بالعمل؛ ليسمعه الناس.

(2) ـ إظهار العبادة؛ ليراها الناس، فيحمدوه.

(3) ـ انسداد الأذن، وثقل السمع.

(4) ـ وهو: الخرس وعدم القدرة على الكلام.

(5) ـ فقدان العقل وعدم التمييز.

(6) ـ تآكل أطراف الأعضاء شيئًا فشيئًا، وربما يفقد صاحبه الشعور بها، وهو مرض ينتقل بالعدوى.

(7) ـ البَرَصُ هو: بياض يظهر على الجلد كبقع، ثم ينتشر في باقي الجلد حتى يعمّه؛ بسبب انحباس الدم في الجلد، وهو داء يستقذره الناس، ويسبِّب آلامًا نفسية للمريض.

(8) ـ **صحيح:** رواه الحاكم (1944)، والبيهقي في الدعوات الكبير (348)، والطبراني في الصغير (316).

وجه الاستدلال:

أنَّ ما يصيب الإنسان من الخير والضرر فهو بتقدير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا يدل على أن قدر الله فيه الشر؛ لأن الضرر شرٌّ.

ب ـ الأدلة العامة، ومنها:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ { القمر:49}.

وجه الاستدلال:

((كُلَّ شَيْءٍ)) "كل " من صيغ العموم، فتشمل الخير والشر.

ـ فهذه أدلة فيها أن تقدير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيه الخير والشر، وهناك أدلة فيها نَفْي الشر عن الله.

((ثانيًا)): أدلة فيها نَفْي الشر عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومنها:

عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا استَفتَح الصَّلاةَ يُكبِّرُ، ثُم يقولُ:

((.... لبَّيْكَ وسَعدَيْكَ، والخَيرُ كلُّه في يدَيْكَ، والشَّرُّ ليس إليكَ، أنا بكَ وإليكَ، تبارَكْتَ وتعالَيْتَ، أستغفِرُكَ وأتوبُ إليكَ)) [1].

وجه الاستدلال: التصريح بنَفْي الشر عن الله جَلَّ جَلَالُهُ.

(1) ـ رواه أحمد (803)، ومسلم (771)، وأبو داود (760)، والترمذي (3421)، والنسائي (897)، وهذا لفظ أحمد.

وبسبب تعارُض النصوص _ في الظاهر _ اختلفت مسالك الناس في الجواب على هذا السؤال:

هل يجوز أن ننسب الشر إلى الله تبارك وتعالى ؟

اعلم أنَّ العلماء _ رحمهم الله _ لهم مسالكُ مع هذه النصوص في هذه المسألة؛ فإنهم يقولون أنَّ الله ﷻ خلق الخير والشر، وإنما الإشكال سيكون في نَفْي نسبة الشر عن الله ﷻ ((والشر ليس إليك)).

وهل النفي نفيٌ لخلْق الشر أو ماذا ؟

وقبل أن نذكر هذه المسالك هناك مسلكٌ آخرُ، وهو مسلك القدرية.

مسلك القدرية في المسألة:

اعلم أن القدرية ينقسمون إلى طوائف ثلاث:

((الطائفة الأولى)):

القدرية الأوائل (غلاة القدرية) [1]،

(1)- **الطائفة الأولى:** غلاة القدرية (القدرية الأوائل أو المجوسية)

وهم الذين ينفون عن الله العلم (علم ما سيفعله العباد، وإنما يعلمه بعد وقوعه) والخلق (خلق أفعال العباد) فهم ينسبون القدر إلى العبد (أي أن العبد هو الذى يخلق أفعاله) وينفونه عن الرب (أى: ينفون خلْق الله لأفعال العبد – تعالى الله عن ذلك –) ويقولون أن الله تعالى لا يعلم أفعال العباد الا بعد وقوعها، وقد سُموا بالمجوسية؛ لأنَّ طائفة منهم يقولون أن أفعال الخير خلقها الله، وأما أفعال الشر: فقد خلقها العبد، فشابهوا المجوس الذين يقولون أن هناك إلهًا للخير وإلهًا للشر.

ظهرت القدرية فى أواخر عهد الصحابة في زمن الفتنة بين ابن الزبير رضي الله عنه وبنى أمية سنة (70 هـ)؛ فغلاة القدرية ينكرون علم الله المتقدم ومشيئته السابقة، ويقولون أن الله تعالى أمر ونهى وهو لا يعلم مَن سيطيعه ممن سيعصيه، ويقولون أن الأمر أُنُف –أى: مُستأنَف– فنفوا عن الله العلم والخلق، والله تعالى يقول: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ {الصافات:96}

حكمهم: وهم كفار نوعًا وعينًا، ولا يحتاجون لإقامة الحجة؛ لأنه من المعلوم من الدين بالضرورة؛ فمَن وصف الله سبحانه وتعالى بالجهل لا يحتاج لإقامة الحجة.

أقوال الأئمة فيهم: قال ابن عباس: ((كلام القدرية كفر))

ابن عمر ((لعنهم، وتبرأ منهم)) كما فى الصحيح في مطلع حديث جبريل، والتبرؤ هنا يعني: الخروج من الملة.

وقال: ((لو برزت لى القدرية فى صعيد واحد لضربتُ رقابهم)) =

= **قيل لعليّ** رضي الله عنه: إن هاهنا رجلًا يتكلم فى المشيئة، فقال: ((يا عبد الله، خلقك الله إذا شاء أم إذا شئتَ ؟ فقال: إذا شاء، قال: ويمرضك إذا شاء أم إذا شئتَ ؟ فقال: إذا شاء، قال: ويشفيك إذا شاء أم إذا شئتَ ؟ فقال: إذا شاء، قال: ويميتك إذا شاء أم إذا شئتَ ؟ فقال: إذا شاء، قال: ويدخلك حيث شاء أم حيث شئتَ ؟ فقال: حيث شاء، قَالَ: وَاللَّهِ لَوْ قُلْتَ غَيْرَ هَذَا لَضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاكَ بِالسَّيْفِ، قَالَ: ثُمَّ تَلَا: ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ {المدثر: 56}

قال الحسن البصرى: ((مَن كذَّب بالقدر فقد كذب بالحق – أى: القرآن –))

قال نافع: ((يُستتابون، وإلا قُتلوا)) وورد مثله عن عمر بن عبد العزيز

رجاء بن حيوة: أفتى رجاء بن حيوة بقتلهم.

قال الأوزاعي: كَفَر غيلان القدرى، وقال لهشام بن عبد الملك: ((دمه فى عنقى)).

قال الشعبي: ((القدرية نصارى)).

قال سعيد بن جبير: ((القدرية يهود)).

وقال أبو حنيفة: ((نقول لهم: هل علم الله ما يكون قبل أن يفعله ؟ فإن قالوا: لا، كفروا؛ لأنهم جهَّلوا ربهم، وإن قالوا: نعم، نَقُل لهم: هل شاء الله خلاف ما علم ؟ فإن قالوا: نعم، كفروا؛ لأنه شاء أن يكون جاهلًا، وان قالوا: لا، رجعوا إلى قولنا)).

وسُئل مالك: عن تزويج القدرى، فقال: ((ولَعَبد مؤمنٌ خيرٌ من مشركٍ)).

قال الشافعي: ((ناظروا القدرية بالعلم، فإن تابوا وإلا كفروا)).

وسُئل الإمام أحمد: يُستتاب القدري ؟ فقال: ((أرى أن يستتيبه إذا جحد العلم)).

انظر إلى هذه الآثار في: (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) اللالكائي (711:706/3) باب: ((**ما رُوي من المأثور في كُفْر القدرية وقتْلهم، ومَن رأى استتابتهم ومَن لم يرَ**)).

وهم الذين ينفون عن الله العلم بأفعال العباد وكذلك الخلق.

يقولون: أنَّ الله ما علم، وما خلق شيئًا من أعمال العباد [1].

فهم ينفون خلْق الله للخير والشر، مع نفيهم للعلم ــ علم الله لأعمال العباد ــ.

((الطائفة الثانية)):

القدرية المتأخرون [2]:

يقولون أنَّ الله تبارك وتعالى لم يخلق أفعال العباد عمومًا من الخير ومن الشر، ولكنهم يثبتون العلم ــ أي أن الله يعلم كل أعمال العباد ــ.

((الطائفة الثالثة)):

وهم القسم الثاني من متأخري القدرية.

قالوا أن الله خلق الخير، ولم يخلق الشر ــ وعلى هذا جماعة من أهل الحديث الذين كانوا يقولون بالقدر: يقولون أن الله خلق الخير، ولم يخلق الشر، ولعل هذا مقصد الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما قال:

((لو فتشتُ أهل البصرة وجدتُ ثُلُثَهم قدرية)) [3].

---

(1) ـ انظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، ابن بطة (1 / 171) ط (دار الراية) الرياض.

(2) ـ **وهم ينقسمون إلى قسمين:** أ ـ قسم يقول: الله لم يخلق أفعال العباد من الخير والشر،
ب ـ وقسم يثبتون لله خلْق الخير دون الشر.

(3) ـ تاريخ بغداد (12 / 195) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان .

((مسالك العلماء في معنى حديث: " والشر ليس إليك "))

اعلم ــ رحمنا الله وإياك ــ أن العلماء لهم مسالك في الجواب عن السؤال: هل يُنْسَب الشر إلى الله ﷻ ؟

((القول الأول)):

قالوا: (الشر ليس إليك) يعني:

الشر لا يُتقرب به إليك [1].

وهذا مذهب: الخليل بن أحمد، والنضر بن شميل، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن معين، وابن خزيمة، والأزهري، والطحاوي [2].

((القول الثاني :))

قالوا: (والشر ليس إليك) يعني: **الشر لا يُضاف إليك على انفراده** يعني: لا يصح أن نقول: يا خالق الشر، أو يا رب الشر، أو خالق النجاسات، أو يا خالق الخنازير والقردة، أو يا مقدِّر الشر، فلا يصح

---

(1) ـ معالم السنن، للخطابي (1 / 170) رقم (239) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان، شرح النووي على صحيح مسلم (3 / 52) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان، شرح سنن أبي داود، بدر الدين العيني (2 / 435) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان، مرقاة المصابيح شرح مشكاة المصابيح (2 / 493) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

(2) ـ السنن الصغير، للبيهقي (1 / 147) رقم (374)، ط (منشورات جامعة الدراسات الإسلامية)، شرح مشكل الآثار، الطحاوي (4 / 223) رقم (1563) ط (مؤسسة الرسالة) بيروت، شرح النووي على صحيح مسلم (3 / 52) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان، البدر التمام شرح بلوغ المرام، (3 / 33) تحقيق: (علي بن عبد الله الزين).

أن نقول ذلك، إنما نقول: الله خالق كل شيء [1].

فنقول ذلك على العموم، ولا نفرد الله تبارك وتعالى بخلق الشر.

وهذا مذهب أبي عثمان الصابوني [2]، وحُكى عن بعض الشافعية ـــ المزني ـــ.

وقال به غيرهم من أهل العلم [3].

((القول الثالث)):

معنى الحديث (والشر ليس إليك) يعنى: **الشر لا يصعد إليك** [4].

وهذا قريب من القول الأول الذي قالوا فيه: الشر لا يُتقرب به إليك؛ لقول الله ﷻ: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾

((القول الرابع)):

(والشر ليس إليك) يعنى: **ليس شرًا بالنسبة لحكمتك** [5]، **فالله لم**

([1]) ـ شرح النووي على صحيح مسلم (3 / 52) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان، شرح سنن أبي داود، بدر الدين العيني (2 / 435) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان البدر التمام شرح بلوغ المرام، (3 / 33) تحقيق: (علي بن عبد الله الزين).

([2]) ـ عقيدة السلف وأصحاب الحديث، الصابوني (صـ 285) ط (دار العاصمة) الرياض.

([3]) ـ شرح النووي على صحيح مسلم (3 / 52) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان، البدر التمام شرح بلوغ المرام، (3 / 33) تحقيق: (علي بن عبد الله الزين).

([4]) ـ شرح النووي على صحيح مسلم (3 / 53) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان، شرح سنن أبي داود، بدر الدين العيني (2 / 435) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان البدر التمام شرح بلوغ المرام، (3 / 33) تحقيق: (علي بن عبد الله الزين).

([5]) ـ شرح النووي على صحيح مسلم (3 / 52) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان، شرح سنن أبي داود، بدر الدين العيني (2 / 435) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

يخلق شرًا محضًا، وإنما الشر الذي يخلقه الله تبارك وتعالى ليس شرًا بالنسبة إليه؛ لأنه صادر عن حكمة بالغة؛ فقضاء الله تبارك وتعالى كله خير، لا شر فيه بوجه من الوجوه بالنسبة لله ﷻ، وإنما يكون الشر في المقضيِّ الذي هو مفعولٌ لله ﷻ ومخلوق لله تبارك وتعالى.

وعلى هذا ذهب جماعة من أهل التحقيق:

كابن تيمية [1] وابن القيم [2] رحمهما الله.

فهناك فرْق بين فِعل الله ﷻ الذي فَعَلَه، وبين مَفْعُولات الله ومخلوقاته؛ فالنظر يكون من جهتين:

الجهة الأولى: جهة المُقَدِّر (وهو الله الذي قَدَّر).

الجهة الثانية: جهة المُقَدَّر (وهو مفعولات الله ومخلوقاته).

فالأول، وهو: (**فِعل الله**) النظر فيه من جهة المُقَدِّر (وهو الله الذي قَدَّر).

حكمه: هذا كله خير.

والثاني، وهو: (**مفعولات الله**).

حكمه: فيه الخير، وفيه الشر.

---

(1) ـ مجموع الفتاوى (14 / 266) الطبعة الثانية (1399 هـ).

(2) ـ شفاء العليل (صـ 515) طـ (المكتبة التوفيقية) القاهرة.

((تطبيق للبيان)):

خَلْق إبليس: خَلْق الله لإبليس الذي هو فِعل الله: **هذا خير بنسبته لله** ﷻ، وفيه الكثير من المنافع ــ كما سيأتي معنا في سؤال مستقل: ما الحكمة من خلق إبليس؟ ــ [1]، لكن في **المفعولات:** فهو شر لبعض المخلوقات؛ لأن مِن المخلوقات مَن أغواهم إبليس، ودخلوا النار؛ بسبب إغوائه (لعنه الله).

خلاصة الكلام:

الشر في المفعول (المخلوق) وليس في فِعل الله ﷻ.

وكما سبق وبينَّا أن الشر ينقسم إلى قسمين، وهما: شر محض، وشر نسبي: فيه الخير وفيه الشر: كالبلاء: هو شر مِن وجه مِن ناحية الآلام والأحزان، وهو خير من وجه آخر؛ لأن البلاء تُرفع به الدرجات، وتُكفر به السيئات، وكذلك قطْع يد السارق فيه خير من وجه، وشر من وجه ..... إلخ [2].

فالله ﷻ لم يخلق شرًا محضًا، فبالنسبة إلى فعله ﷻ فلا يُنسب إليه الشر؛ فكل ما قدَّره الله ﷻ من جهة فِعله فلا شر يُنسب إلى فِعله، بل كله خير، وأما من جهة المُقَدَّر عليه -وهو المخلوق-: ففيه خير وفيه

---

(1) ـ انظر: (صـ 111) فيها الإجابة على هذا السؤال.

(2) ـ وقد سبق وذكرنا أمثلة على ذلك، وانظر: (صـ 18).

شر؛ فربنا ﷻ لم يخلق شرًا محضًا، وباعتبار فِعل الله ﷻ وحكمته: فيُعد هذا خيرًا محضًا، ولكن قد يكون هذا الخير شرًا بالنسبة لبعض الناس كما ضربنا المثل في هذا الباب؛ فربنا ﷻ مُنزَّهٌ عن الشر المحض الكُلى (فِعلًا وخَلْقًا) ومُنَزَّهٌ عن الشر النسبي (فِعلًا، لا خَلْقًا)،

والشر صار شرًا؛ لانقطاع نسبته إلى الله ﷻ، لكن إذا نُسبَ إلى الله ﷻ فعلًا فهو خير.

((الترجيح)):

الراجح في نظري ـــ والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم، إن كان صوابًا فمن الله، وإن كان خطأً فمنى ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان ـــ :

أن جميع المعاني السابقة صحيحة ـــ في الأصل ـــ والمعنى الأدق والأشمل والذي يتضمن التنزيه الكامل: هو المعنى الرابع (الشر ليس في أفعاله وإنما في مفعولاته ومخلوقاته)، وإليك بيان ذلك:

أ ـ فالشر ليس إلى الله ﷻ **يعنى: لا يُتقربُ إلى الله بالشر**

هذا وإن تضمن تنزيه الله ﷻ عن التقرب بالشر إليه، لكن لا ينفي أن يكون فِعله فيه شر ـــ تعالى الله عن ذلك ـــ.

ب ـ والشر ليس إلى الله ﷻ **يعني: لا يصعد الشر إليه**

هذا وإن تضمن تنزيه الله عن صعود الشر إليه، لكن لا ينفي أن يكون فِعله فيه شر ـــ تعالى الله عن ذلك ـــ.

ج ـ والمعنى الأشمل والأدق الذي يتضمن التنزيه، الموافق للفظ المعصوم الصادق المصدوق ﷺ، (والشر ليس إليك) فإنه يتضمن تنزيه الله عن نسبة الشر إليه بوجه من الوجوه: لا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ ولكن في مخلوقاته ومفعولاته [1].

لأن فِعل الله سبحانه وتعالى كله خير، وإنما الشر في مفعولات الله، كما بينه المحقق المحرر ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وغيرهم رحمهم الله.

فلا منافاة بين كل هذه المعاني، وكلها معانٍ صحيحةٌ يشملها الحديث.

((سؤال)):

هل لنا أن نقول أن الله جل جلاله خلق الشر ؟

لنا أن نقول ذلك في مقام الرد على أهل البدع [2] ؛ لأنَّ الله جل جلاله خالق كل شيء، وهو صانع كل صانع وصنْعته جل جلاله، وفِعله كله خير سبحانه وتعالى، وأما نسبة الشر إليه من جهة الخلق عمومًا [3]: فتُنسب إلى الله بضوابطَ وآدابٍ.

((سؤال)):

وما هذه الضوابط في نسبة الشر إلى الله من جهة الخلق ؟

([1]) ـ انظر: بدائع الفوائد، ابن القيم (2 / 444) ط (دار الحديث) القاهرة.

([2]) ـ كالقدرية الذين ينفون خلْق الله للشر، وهم "طوائف ثلاث" كما بيناه من قبلُ بحول الله.

([3]) ـ والمقصود في غير مَعرِض الرد على أهل البدع.

((الجواب)):

ذكر أهل العلم أنَّ الشر لم يُنسب إلى الله ﷻ مفردًا قطُّ إلا على ثلاثة وجوه [1]، وهي:

((الوجه الأول)):

على جهة عموم المخلوقات.

كأن يُقال: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ {الزمر:62}

و" كل " من صيغ العموم، فيدخل في ذلك الشر.

((الوجه الثانى)):

أن يُضاف الشر إلى السبب المخلوق.

كما في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قل أَعُوذُ بِرَبِّ الفلق من شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ {الفلق: 1،2}

فأضافه الله سبحانه وتعالى إلى مَن خَلَقَه من مخلوقاته ــ وهو السبب ــ وهو مفعولات الله ﷻ.

((الوجه الثالث)):

أن يُحذف الفاعل، ويكون لما لم يُسمَّ فاعله

كما قال ﷻ عن الجن أنهم قالوا: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ {الجن:10}

---

(1) ـ شفاء العليل (صـ 515) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة.

فلما ذكروا الشر قالوا: أُريد، ولم ينسبوه لله ﷻ من باب التأدب مع الله ﷻ، وكما قال الخضر عليه السلام كما في قوله تعالى في سورة الكهف:

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ {الكهف:79}

فنسب العيب لنفسه، مع أنه في آخر الآيات قال:

﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ {الكهف:82}، وعندما جاء ذِكر الخير قال:

﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا ﴾ {الكهف:82}

ومن ذلك قول إبراهيم ﷺ الذي ذكره الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ {الشعراء:80}

مع أن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق المرض وقدَّره، ونسبه إبراهيم ﷺ لما لم يُسمَّ فاعله من باب التأدب مع الله سبحانه وتعالى.

إذن: فالشر لا يُنسب إلى الله ﷻ، فهو ليس في أفعاله _على وَفق ما بيناه_؛ لأن فِعل الله كله خير كما قال النبي ﷺ :(والشر ليس إليك).

الخلاصة:

لنا أن نقول:

الشر ليس في قضاء الله سبحانه وتعالى [1]، إنما يكون في المقضيِّ [2].

(1) ـ لأنه فِعل الله، وفِعل الله كله خير.

(2) ـ لأنه مفعولات الله ومخلوقاته.

((سؤال)):

هل يصح أن نقول: أراد الله ﷻ الشر الموجود في الدنيا ؟

الأصل في ذلك أننا لا ينبغي أن نقول ذلك من باب التأدب مع الله سبحانه وتعالى (مع أن الشّر أُريد كونًا)، ولكن في معرض البيان، أو الرد على أهل البدع نقول:

أنَّ الله سبحانه وتعالى أراد الشر، ولم يُرِد الشر.

((سؤال)): وما معنى أن الله أراد الشر، ولم يُرِده ؟

((الجواب)):

أراده كونًا، ولم يُرِده شرعًا؛ فالظلم والقتل بغير حق والكفر..... إلخ شر، وقد أراده الله كونًا، ولم يُرِده شرعًا، وسيأتي سؤال بعنوان:

((كيف [1] يكون في مُلك لله ما لا يحبه الله ؟))

في مبحث مستقل، فيه بيان هذه المسألة [2].

([1]) ـ نذكر السؤال بصيغة (كيف) على سبيل التعليم، وإلا فالأصل: ﴿ لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾.

([2]) ـ انظر: (صـ 63).

((السؤال الثاني)):

ما الحكمة من تقدير المعاصي والذنوب ؟

في البداية قبل الجواب عن هذا السؤال نؤصِّل هذا الأصل:

((أولًا)):

أنَّ الله ﷻ ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ {الأنبياء:23}

فالخلق خلْقه، والملك مُلكه، يفعل ما يشاء ﷻ.

((ثانيًا)):

الله ﷻ لا يُقْدِّر المقادير إلا لحِكمٍ عظيمة جليلة.

سواء علمنا هذه الحكمة أو لا؛ فهناك حِكَم عظيمة لتقدير الله ﷻ، علمها مَن علمها، وجهلها مَن جهلها.

ـ ومجرد المعرفة بوجود الحكمة -إجمالًا- هذا يكفينا، بمعنى لو قدَّر الله أمرا معينًا، ولم نعرف ما الحكمة من تقدير هذا الأمر، فمجرد أن يعتقد الإنسان أن الله سبحانه وتعالى فعل هذا الأمر لحكمة، فهذا اسمه: معرفة الحكمة الإجمالية أو: الإيمان بأنَّ الله سبحانه وتعالى لا يفعل الأمور إلا لحكمة، فهذا يكفينا.

والسؤال:

ما الحكمة من تقدير الله تبارك وتعالى الذنوب والمعاصي ؟

((الجواب)):

اعلم ــرحمنا الله وإيا ــ أنَّ هناك حِكَمًا بالغة عظيمة جليلة؛ فقد قَدَّر الله ﷻ هذه الأمور وَوُجِدَت المعاصي والذنوب لحِكَمٍ عظيمة وبالغة، وإليك شيئًا من هذه الحِكم:

((الحكمة الأولى)):

أن يعلم الإنسان أنه يحتاج إلى حِفظ مولاه ﷻ

كما كان يقول النبي ﷺ:

((....يا حَيُّ يا قَيُّومُ بِرحمتِكَ نستغيثُ، فأصلِحْ لي شأني كُلَّهُ،ولا تكِلني إلى نَفسي طَرفَةَ عينٍ)) [1].

فإذا رأى الإنسان المعاصي والذنوب علم أنه يحتاج إلى حِفظ مولاه، وأنه لو تُرك إلى نفسه طرفة عين لهلك في التوِّ واللحظة.

((الحكمة الثانية)):

أنَّ وجود المعاصي والذنوب يستجلب الكثير من العبوديات:

كالتوبة، والاستغفار، والندم، والخشوع، والخشية، والخضوع، والإنابة، والخوف، والرجاء، والانكسار، والذلة ...... إلخ.

---

(1) ـ **حسن:** رواه النسائي في السنن الكبرى (10405)، والبزار (6368)، وحسنه الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (2 / 407).

فالإنسان إذا أذنب، ثم بعد ذلك أراد أن يتوب، فإنَّ هذه التوبة ستُخرِج من قلبه هذه العبوديات العظيمة، فتظهر هذه العبوديات بسبب وجود الذنوب.

((الحكمة الثالثة)):

أنَّ في وجود المعاصي والذنوب إظهارًا لقدرة الله وعزته جَلَّ جَلَالُهُ

وذلك لنفوذ مشيئة الله جَلَّ جَلَالُهُ وأنه لا مفر للعبد ولا مهرب من قضائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فوجود المعاصي والذنوب فيه تعريف من الله للعباد بعزته وقدرته جَلَّ جَلَالُهُ.

ووجه ذلك:

أنَّ الإنسان عندما يرى نفسه وقع في المعاصي والذنوب يعلم أنه لا مفر له ولا محيص له ولا مهرب له من قضاء الله جَلَّ جَلَالُهُ، فيستحضر اسم (العزيز): أنه جَلَّ جَلَالُهُ هو العزيز الذي لا يُغالب ولا يُمانع، وأَمرُه نافذٌ لا محالة؛ ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إنَّ اللَّهَ كَتَبَ على ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَى، أَدْرَكَ ذلكَ لا مَحَالَةَ: فَزِنَى العَيْنَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَى اللِّسَانِ النُّطْقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلكَ، أَوْ يُكَذِّبُهُ)) [1].

فهذا كُتِبَ على ابن آدم، ولا مهرب لابن آدم مما كتبه الله جَلَّ جَلَالُهُ.

([1]) ـ رواه البخاري (6243)، ومسلم (2657) وغيرهما.

ــ وهذا يُلجئ العبد إلى الركون والانكسار إلى الله الملك ﷻ، والاستعانة بالله العزيز الذي لا يُغالب ولا يُمانع ﷻ.

((الحكمة الرابعة)):

أنَّ الله ﷻ يحب التائبين

فبعدما كانوا عصاة لله، رجعوا بفضل الله، وتابوا إلى الله، وأنابوا، واللهُ يحب التائبين، كما قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾{البقرة:222} ولولا تقدير المعاصي عليهم لما وصلوا لهذه المنزلة، فبعدما فعلوا ما فعلوا، واقترفوا ما اقترفوا مما يبغضه الله ﷻ، وفَّقهم الله التواب الرحيم إلى التوبة والإنابة والرجوع، وربنا يحب منهم هذه التوبة، ويفرح بها، كما أخبر بذلك نبينا ﷺ: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِن أَحَدِكُمْ كانَ علَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ منه وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فأيِسَ منها، فأتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ في ظِلِّهَا؛ قدْ أَيِسَ مِن رَاحِلَتِهِ، فَبيْنَا هو كَذلكَ إِذَا هو بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فأخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قالَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ)) (1).

فربنا يفرح بالعبد التائب الذي يرجع إليه.

(1) ـ رواه مسلم (2747).

((الحكمة الخامسة)):

أنَّ الله جَلَّ جَلالُهُ يتفضَّل على عباده، ويُنعِم عليهم، ويريهم برَّه وإحسانه

فالرحيم جَلَّ جَلالُهُ يتفضل على عباده، وينعم عليهم بعد خطئهم وذنوبهم، ويريهم واقع بِرِّهِ وكرمه وإحسانه، ومن أعظم الإحسان أن يحسن الله جَلَّ جَلالُهُ إلى مَن عصى ومَن أساء: بأن يمهله، ويوفِّقه للتوبة والرجوع إليه جَلَّ جَلالُهُ، فيظهر بِرُّه وكرمه، **وهذا يدفع الطائعين إلى الطمع في رحمة الله جَلَّ جَلالُهُ**.

ووجه ذلك: (أن هذا يدفع الطائعين للطمع في رحمة الله):

أنَّ هذا تعامُل الله جَلَّ جَلالُهُ مع المسيء العاصي ـ يُحسِن إليه جَلَّ جَلالُهُ ـ فإذا كان الله تبارك وتعالى أحسنَ إلى مَن عصى وأساء، فكيف بالمؤمن المطيع ؟!

ـ وهذا يفتح أبواب الرحمة أمام المؤمنين، ويجعلهم يطمعون في رحمة الله وجوده وكرمه وإفضاله وإنعامه جَلَّ جَلالُهُ.

((الحكمة السادسة)):

أنها تُظهِر للعبد حقيقة نفسه، وأن النفس البشرية ظالمة لنفسها

فالمعاصي والذنوب تُظهِر حقيقة النفس البشرية، وأنها خطَّاءة ظَلُومة، وهذا معدن الإنسان كما قال ربنا جَلَّ جَلالُهُ عنه:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا

وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ {الأحزاب:72}.

فإذا رأى الإنسان المعاصي والذنوب عَلِم حقيقة نفسه، وأن النفس البشرية الأصلُ فيها الظلمُ والجهلُ، وهذا أمر عظيم؛ لأنه يُزيل الكِبْر من قلب العبد.

((**الحكمة السابعة**)):

أن يعرف العبد كرم الله تبارك وتعالى وسِتره العظيم

فالإنسان يعرف كرم مولاه وسِتره بوجود المعاصي والذنوب

ووجه ذلك: أن العبد يُذنب ويذنب، وربنا ﷻ الستير الرحيم العفو يستره ولا يفضحه.

وكما قال محمد بن واسع رَحِمَهُ اللَّهُ:

((لَوْ كَانَ لِلذُّنُوبِ رِيحٌ مَا قَدَرَ أَحَدٌ أَنْ يَجْلِسَ إِلَيَّ)) [1].

فكم من معصيةٍ اقترفتَها أنتَ أنتَ بيديك، وسترها الله ﷻ **عليك!**

فكم من ذنب وقعتَ فيه وستره الله ﷻ **عليك!**

((**الحكمة الثامنة**)):

أن يعامل العبدُ الناسَ كما يحب أن يعامله الله ﷻ

فأنت -بلا شك- تحب أن يعاملك الله ﷻ بالإحسان والستر والعفو، وكذلك أنت إذا رأيت من أخيك ذنبًا أو معصية أو إساءة، فاستر

(1) ـ محاسبة النفس، لابن أبي الدنيا، (صـ 82) رقم (37) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

عليه، وانصحه في الخفاء، وادعُ له، ولا تفضحه، وعامله كما تحب أن يعاملك الله.

((الحكمة التاسعة)):

الحذر من الذنوب، والحذر من مكايد الشيطان

إنَّ المعاصي والذنوب تُوجِب لصاحبها الحذر، وتُوجِب لصاحبها معرفة مكايد الشيطان والتيقُّظ والاحتراز من هذه الوساوس.

مثلًا: إنسان يقع في المعاصي والذنوب بسبب اختلاطه بالنساء، فإذا وقع في الذنب فهذا يدفعه إلى الاحتراز، وألا يختلط بالنساء ـ بغير ضابط شرعي ـ حتى لا يقع في مكايد الشيطان وحبائله، ويقع في المحذور الذي يَضْعُف عنده.

((الحكمة العاشرة)):

إقامة المعاذير للخلائق

فالعباد أصحاب معاصٍ وذنوب كما في الحديث:

عن أنس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((كلُّ ابنِ آدمَ خطَّاءٌ، وخيرُ الخطَّائينَ التَّوَّابون)) [1].

فنحن أصحاب معاصٍ وذنوب، فإذا رأيتَ واحدًا من الناس يقع في ذنب وفي معصية فإنَّ هذا يحملك على خلْق المعاذير لهم، بمعنى أنه ما

([1]) ـ رواه أحمد (13049)، والترمذي (2499) وغيرهما، وحسنه: ابن القطان، وابن حجر، والألباني.

من عاصٍ إلا وينظر إليه الإنسان بعينين:

أ ـ عين الشرع: تُبغِض منه هذا الفعل الذي فعله.

ب ـ عين القدر: أنك ترحمه؛ لأنه ابتُلى بهذا الذنب وهذه المعصية.

فالإنسان إذا علم أنه يقع في المعاصي والذنوب، ولمس من نفسه ذلك، أقام المعاذير للخلق؛ فإنهم وقعوا في المعاصي كما وقعتَ أنت في المعاصي والذنوب، فإذا أساء إليك أحد فاعلم أنك أيضًا قد أسأتَ من ذي قبلُ، وإذا قدَّم إليك أحدٌ الاعتذارَ فاقبله، وتخلَّق بآثار صفة الله ﷻ، العفو والصفح والغفران.

((الحكمة الحادية عشرة)):

نَزْع رداء الكبر والعُجْب والعظمة من قلب العبد

إذا وقع العبد في المعصية وتاب، نُزِعَ رداء الكِبر والعُجب والعظمة من قلبه، ولبس العبد رداء الذُّل والانكسار.

ــ فكم من عبد كان عنده كِبْرٌ وعُجْبٌ بعمله، فابتلاه ربنا ﷻ بمعصية، فخلع رداء الكبر، ولبس رداء الانكسار والذل والافتقار إلى الله ﷻ بسبب هذا الذنب !

ــ فكم من ذنب أزال كِبْرًا وعُجْبًا من قلب العبد !

((الحكمة الثانية عشرة)):

إقامة الحُجة على العباد

الذنوب والمعاصي فيها إقامة الحُجة على العبد، فإذا وقع بالعبد البلاء، وأصابه ما أصابه، فلا يقُل: من أين أُتيتُ؟ ولا: بأي ذنب أُصبتُ؟ فما أُصيب العبد بمصيبة إلا بما كسبت يداه، ويعفو ربنا عن كثير.

قال الله ﷻ: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ {النحل:61}

وقال الله ﷻ: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ {الشورى:30}

وقال الله ﷻ: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ {الروم:41}.

((الحكمة الثالثة عشرة)):

ابتلاءٌ للعبد؛ ليذوق ألم الإعراض عن الله ﷻ

المعاصي والذنوب ابتلاءٌ للعبد: فَيَبْتَلِي اللهُ العبدَ بالإعراض عنه، فيذيقه ﷻ ألم الحجاب عنه ﷻ، ويذيقه ألم زوال الأنس به ﷻ، ويذيقه ألم زوال القرب منه ﷻ؛ لأجل امتحان العبد.

فإذا أقام العبد راضيًا عن حاله على المعصية، ولم يجد في نفسه جهادًا ليعود ويرجع إلى الله ﷻ، واطمأنت نفسه وسكنت إلى غير الله وإلى المعصية – كان هذا العبد لا يصلح لله ﷻ، ويجعله الله ﷻ في المكانة

والمرتبة التي تليق بهذا العبد؛ فإن تاب، وأناب، وجاهد نفسه، وخلع ثوب المعصية، ولم تسكن نفسه إلا بالقرب من الله ﷻ والرجوع إليه ﷻ – رفعه الله، وقرَّبه، وآواه !

((الحكمة الرابعة عشرة)):

إغاظة للشيطان

أنها فيها إغاظة للشيطان، وذلك باتباعها (المعصية) بالتوبة والاستغفار والندم، وكم من معصية ولَّدَت في قلب العبد الندم والتوبة والإنابة والخضوع والانكسار لمولاه !

وكم من معصية ولَّدت في داخل الشيطان الندم على تسويله للإنسان بها!

مثلًا: إنسان سَوَّل له الشيطان معصية مِن: زِنى، وشُرب خمر وما شابه ذلك، ففعل ــ والعياذ بالله ــ فرح الشيطان بذلك، ثم بعد ذلك ندم هذا العبد، وكلما تذكَّر هذه المعصية تاب إلى الله ﷻ، وفعل ألوانًا من الطاعات من:

الاستغفار، والصيام، والصلاة، والذِّكر وما شابه ذلك، حينها يندم الشيطان على أن سَوَّل له هذه المعصية؛ لأنه تاب فتاب الله ﷻ عليه، وغفر له هذه المعصية، وفتحت هذه التوبة على العبد أشكالًا مِن الطاعات، وألوانًا من العبادات ومن الأعمال الصالحات التي جعلت

الشيطان يعضُّ على يديه ندمًا على ذلك !

((الحكمة الخامسة عشرة)):

الانشغال بعيوب النفس

فالعبد الفطن اللبيب إذا وقع في الذنوب والمعاصي حَمَله ذلك على الانشغال بعيوب نفسه والانشغال بإصلاحها، وكفَّ عن الكلام عن الآخرين [1] والانشغال بعيوبهم.

((الحكمة السادسة عشرة)):

التوبة وآثارها الطيبة

إن التوبة تُوجِب للتائب آثارًا عجيبة من المقامات التي لا تحصل من دونها: كالندم، والانكسار، والخضوع، والتضرع، والبكاء.........إلخ.

فهذه الأمور ما كانت لتحدث إلا عندما يُذنب الإنسان ويتوب إلى الله جل جلاله.

وما ذكرناه هاهنا غَيْضٌ من فَيْضٍ؛ ففي هذا تُصنف المصنفات، وتُكتب المجلدات، وتُسَوَّد الأوراق سنوات، ولكنها إشارة واختصار، وبالله التوفيق.

---

(1) ـ وليس المقصود من ذلك: تَرْك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح للمسلمين (بضوابطه الشرعية)، وإنما المراد: الانشغال بعيوب الناس لا على جهة النصح، مع تَرْك عيوب النفس.

((السؤال الثالث)):

ما الحكمة من تقدير البلاء؟

كثير من الناس فقراء، وكثير من الناس لديهم مشكلات، وكثير من الناس مرضى، وكثير من الناس عندهم أبناء ولا يبِرُّونهم، وكثير من الناس عندهم ما عندهم من البلاء والهموم........ إلخ.

فما الحكمة من تقدير البلاء ووجوده ؟

في البداية - قبل الجواب عن هذا السؤال - نؤصِّل هذه الأصول:

((أولًا)):

أنَّ الله جَلَّ جَلَالُهُ ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ {الأنبياء:23}

فالخلق خلْقه، والملك مُلْكه، يفعل ما يشاء جَلَّ جَلَالُهُ.

((ثانيًا)):

ينبغي ولا بد للمسلم في أبواب القدر أن يستحضر المسلم عدل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التام وكمال أفعاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنه لا يظلم الناس شيئًا لكمال عدله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ {النحل:118} قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ {النحل:33} وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ {النساء:40}.

وقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ {يونس:44}.

وقال الله ﷻ: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾{الزخرف:76}؛ فربُّنا ﷻ لا يظلم الناس شيئًا.

((ثانيًا)):

الله ﷻ لا يُقْدِّر المقادير إلا لحِكمٍ عظيمة جليلة

سواء علمنا هذه الحكمة أو لا، فهناك حِكم عظيمة لتقدير الله ﷻ، علمها مَن علمها، وجهلها مَن جهلها، كما سبق وذكرنا من قبلُ [1].

واعلم ــ رحمنا الله وإياك ــ أن تقدير البلاء له حِكم بالغة عظيمة، ومنها:

((الحكمة الأولى)):

معرفة نعمة العافية

فلولا الليل ما عُرف النهار، ولولا البلاء ما عُرف الرخاء، ولولا المرض ما عُرف قدْر الصحة، فعلى سبيل **المثال**:

أنت تتنفس في اليوم الواحد (360) لترًا من الأكسجين تقريبًا، وهذه نعمة عظيمة، ولعلك تتأمل معى مصيبة مَن لا يقدر على التنفس الطبيعي، فنشكر ربنا تبارك وتعالى على نعمة العافية؛ ولذلك حثنا نبينا

([1]) ـ انظر هامش (صـ 15).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه إذا رأى أحدُنا عبدًا مُبتلًى أن يحمد الله، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَن رأى مبتلًى فقالَ: الحمدُ للَّهِ الَّذي عافاني ممَّا ابتلاكَ بِهِ، وفضَّلني على كثيرٍ ممَّن خلقَ تفضيلًا، لم يُصِبْهُ ذلِكَ البلاءُ)) [1].

((الحكمة الثانية)):

اختبار لصبر العبد وإيمانه

فالله سبحانه وتعالى يمتحن إيمانك، ويمتحن صبرك، فإن وُجِدَ الصبر وُجد معه كل خير؛ لذلك كان هذا البلاء بمثابة التمحيص للمؤمنين، كما قال الله جل جلاله: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ {آل عمران:141}

والتمحيص في الآية له معانٍ، وهي:

أ ـ الاختبار.

ب ـ التطهير من الذنوب.

ج ـ التخليص: يُقال: محَّصه يمحِّصه محصًا: إذا خلصه [2].

ومعنى الآية: وليختبر الله ويبتلي أهل الإيمان؛ ليخلصهم من الذنوب

---

(1) ـ **صحيح لغيره:** رواه الترمذي (3432)، والبزار (6217)، والطبراني في الدعاء (799) وصححه وحسنه جماعة من أهل العلم، منهم: (ابن القطان، والرباعي، والمنذري، والهيثمي، والسيوطي، والألباني).

(2) ـ تفسير القرطبي (4 / 195) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة، لسان العرب، ابن منظور (8 / 214) مادة (محص) ط (دار الحديث) القاهرة.

والعيوب [1]؛ فالبلاء اختبار لإيمان العبد، فإذا وُجِدَ الصبر كان معه التطهير والتزكية من الله.

((الحكمة الثالثة)):

تهذيب النفس وإصلاحها

فكم من بلاء كان نعمة على صاحبه! فرُبَّ عبد يكون الخير له في البلاء؛ فقد ترى إنسانًا عاصيًا مُسرِفًا على نفسه في المعاصي، فَيُصَاب بالبلاء، فَيُصْلِح من نفسه، ويعود، ويؤوب، ويرجع، ويتوب إلى الله سبحانه وتعالى، فمن الناس مَن لو صح بدنه وكثر ماله، لطغى في الأرض وتكبَّر، فكم من بلية كانت سببًا في استقامة العبد وفراره إلى الله جل جلاله، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ﴾ {الشورى:27}
قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإنسان أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴾ {فصلت:51}

فكم من إنسان كان في غاية الاعوجاج، فابتلاه ربنا سبحانه وتعالى ببلِيَّة، فاستقام وعاد إلى ربه سبحانه وتعالى، فكان هذا البلاء في ظاهره المحنة، لكن أعطاه الله سبحانه وتعالى فيه المنحة، والفضلُ لله جل جلاله !

ـ وكذلك إذا استمرت هذه الحياة هانئة فسوف يصل الإنسان إلى مرحلة الغرور والكِبْر، ويظن نفسه مُستغنِيًا عن الله جل جلاله، فمن رحمة الله

(1) ـ تفسير القرطبي (4 / 195) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة.

ﷻ أنه يبتلى العبد؛ ليعود إلى ربه ﷻ وينصلح حاله.

((الحكمة الرابعة)):

شُكْر النعمة، ومعرفة قدر العافية

فإذا ابتُلى العبد ببلاء -كمرض أو نحو ذلك- فإنَّ هذا البلاء يُعَرِّفُه قَدْر الصحة، وإذا عافاه ربنا تبارك وتعالى وانتقل من ضيق البلاء إلى سعة العافية، تزداد محبته لخالقه ومولاه الذي شفاه، ويزداد شُكْره لله ﷻ على هذه النِّعم.

فسبحان مُستخرِجِ الدعاء بالبلاء !

وسبحان مُستخرِجِ الشكر بالعطاء !

((الحكمة الخامسة)):

تخويف العبد

فالبلاء فيه تخويف للعبد؛ لعله يتوب إلى الله ﷻ ويرجع؛ فمن العباد مَن لا يُصلح حاله إلا بالبلاء كما قال الله ﷻ:

﴿ وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ {الزخرف:24}

وكما قال الله ﷻ: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ {الروم: 41}.

((الحكمة السادسة)):

إظهار الفقر والتضرع لله ﷻ

البلاء فيه إظهار الفقر والدعاء والتضرع لله ﷻ؛ فربما لا يخطر ببال العبد أن الله ﷻ ابتلاه بذلك البلاء؛ ليسمع صوته وهو يدعوه، ويرى فقره وهو يرجوه؛ فربنا ﷻ يحب سؤال العبد [1]، ويحب تضرع العبد وبكاءه ورَفْع يديه من أجل الدعاء والتضرع له ﷻ؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: ((مَن لم يسألِ اللهَ يغضبْ عليهِ)) [2]

قال الله ﷻ: ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾ {الأنعام:43}

وقال وهب بن منبه رَحِمَهُ اللهُ: ((يَنْزِلُ الْبَلَاءُ لِيَسْتَخْرِجَ الدُّعَاءَ)) [3].

((الحكمة السابعة)):

إخراج العُجْب والكِبْر من قلب العبد

البلاء يُخْرِج العجب والكِبْر من قلب العبد؛ فالكِبْر داء خطير كما قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ {النحل:23}

وقال الله ﷻ: ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ {الزمر:60}

بل وقال النبي ﷺ مبيِّنًا مآل الكِبْر: ((لا يدخلُ الجنَّةَ مَن كانَ في قلبِهِ مثقالُ حبَّةٍ مِن خردلٍ مِن كِبرٍ.....)) [4].

([1]) ـ ومن الأخطاء عند عامة الناس قولهم: ((ربِّ، أنت أعلمُ بحالي، وغنيٌّ عن سؤالي)) أو قولهم: ((علمه بحالي يُغني عن سؤالي)) وهذا خطأ؛ لأن الله العليم يحب سؤال العبد ودعائه وتضرعه، وهو الغني عن العالمين، ثم هذه دعوى لترك السؤال، وشكاية الحال لله الكبير المتعال، وهذا على خلاف هدي النبيين، والصالحين.

([2]) ـ **حسن:** رواه أحمد (9719)، والترمذي (3373)، وابن ماجه (3827) وحسنه الحافظ ابن حجر، وغيره.

([3]) ـ الشكر، لابن أبي الدنيا، (صـ 54) رقم (130)، ط (مؤسسة الكتب الثقافية) بيروت ـ لبنان.

([4]) ـ رواه أحمد (4310)، ومسلم (91)، و أبو داود (4091)، والترمذي (1998)، وابن ماجه (4173).

فمن حِكم وجود الابتلاء أنه يُخرِج الكِبْر من قلب العبد؛ فالعبد الذي يتكبر يرى ضعفه عند الابتلاء، وأنه قد ابتُلى بمرض ـمثلًاـ تسبَّب في إقعاده وضعْفه، وأصبح هوانه ظاهرًا جليًا، فيؤدى هذا إلى قَطْع الكِبْر من قلب العبد، وقَطْع العُجب من النفس.

((الحكمة الثامنة)):

تكفير السيئات

فالبلاء سبب في تكفير السيئات كما ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((ما يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ والمؤْمِنَةِ في نفسِهِ وولدِهِ ومالِهِ، حتَّى يلقَى اللهَ وما علَيهِ خطيئةٌ)) [1].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إذا أرادَ اللهُ بعبدِهِ خيرًا عجَّل له العُقوبَةَ في الدُّنيا، وإذا أرادَ اللهُ بعبدِهِ الشَّرَّ أمسَكَ عنه بذَنْبِهِ حتى يوافِيَ به يومَ القيامةِ)) [2].

((سؤال)):

هل تكفير الذنوب بالبلاء خاصٌّ بالصغائر أو بالكبائر؟

(1) ـ **صحيح :** رواه أحمد (7859)، والترمذي (2399) واللفظ له.

(2) ـ **حسن لغيره:** رواه الترمذي (2396)، وابن ماجه (4031).

((الجواب)):

الجمهور على أن المصائب تكفير للصغائر دون الكبائر [1].

---

(1) ـ اختلف العلماء (رحمهم الله) في المصائب: هل هي مُكفِرات للصغائر والكبائر؟ أو أنها مُكفِرات للصغائر فقط ؟ اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين:

((القول الأول)):

المصائب مكفرات للصغائر دون الكبائر، وأما الكبائر: فتحتاج للتوبة أو عفو الله، وهذا قول جمهور أهل العلم.

واستدلوا على ذلك:

أقوى حجج الجمهور: حمْل المطلق على المقيد، فقالوا: أحاديث تكفير الذنوب بالمصيبة مطلقة، وقيدها قول النبي ﷺ ((الصلواتُ الخمْسُ، والجُمعةُ إلى الجُمعةِ، ورَمضانُ إلى رمضانَ –مُكَفِّراتٌ لما بينهُنَّ إذا اجْتُنِبتِ الكبائِرُ)) رواه مسلم (233)

فقيدوا نصوص تكفير الذنوب باجتناب الكبائر.

((القول الثاني)):

المصائب مكفرات للصغائر والكبائر، ولا مجال لحمْل المطلق على المقيد،

واستدلوا: بعموم الأدلة في تكفير الذنوب بالمصائب، ومنها:

أ ـ ((ما من مسلمٍ يصيبُه أذًى من جسدِه إلا كان كفارةً لخطاياه))

صحيح: رواه أحمد (16899).

ب ـ ((.... ما مِن مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أذًى – مَرَضٌ فَما سِوَاهُ – إلَّا حَطَّ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ كما تَحُطُّ الشَّجَرَةُ ورَقَهَا)) رواه البخاري (5667) ومسلم (2571).

وهذه النصوص وغيرها على عموها، فتشمل الصغائر والكبائر، =

= وأجابوا عن أحاديث التقييد بأنها تتعلق بالأعمال المذكورة من: الصلاة، والصيام، والجمعة..... إلخ، ولا وجه لدخول المصائب فيها.

والأقرب في نظري ــ والله أعلم، إن كان صوابًا فمن الله، وإن كان خطًا فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان ــ أن المصائب الدنيوية تتفاوت، والصبر عليها يتفاوت: فهناك مصائب عظيمة والصبر عليها يكون عظيمًا، فهذه قد تكون مكفرات لبعض الكبائر، أو لشيءٍ منها، وأخرى قد لا تكون مكفرات، ولا سيما في الكبائر التي فيها الحدود، والله أعلم.

واعلم ــ رحمنا الله وإياك ــ أن المصائب المكفِّرة – من حيث مكانها – أقسام:

((القسم الأول)): **مصائب في الدنيا** مثل: الخوف، والمرض، والفقر، والجوع، ونقص الثمرات، وسكرات الموت..... إلخ.

((القسم الثاني)): **مصائب البرزخ** من: آلام البرزخ، وضمة القبر، وفتنته..... إلخ.

((القسم الثالث)): **مصائب الآخرة** ما يكون في عَرَصات القيامة من: الأهوال، والكُرب، والشدائد، وأخف هذه المصائب مصائب الدنيا، ثم البرزخ أشدُّ، ثم عرصات القيامة وأهوالها أشدُّ وأعظمُ (نسأل الله السلامة والعافية).

فرع: اختلف العلماء في المصائب: هل هي مكفرات ومثيبات، أو مكفرات فقط؟

من العلماء مَن قال: هي مكفرات وحسب؛ لظواهر النصوص، وبهذا قال جماعة من الصحابة والسلف كما ذكره ابن رجب (جامع العلوم والحكم)، (527/3) ط (دار السلام) القاهرة ـ مصر.

ومن العلماء مَن قال: هي مكفرات، ورافعة للدرجات، وعليها ثواب، وقد ذكر النووي أنه قول الجمهور. (شرح النووي على صحيح مسلم)، (374/8) ط (دار أبي حيان) =

((الحكمة التاسعة)):

قد يكون رِفعةً للدرجات

البلاء قد يكون رِفعةً للدرجات؛ فإنَّ عِظم الجزاء مع عِظم البلاء، ولولا مصائب الدنيا لوردنا إلى يوم القيامة مفاليس؛ ولذلك روى الإمام مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((ما يُصِيبُ المؤْمِنَ مِن شَوْكَةٍ فَما فَوْقَها إلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بها دَرَجَةً، أوْ حَطَّ عنْه بها خَطِيئَةً)) [1].

= واحتجوا بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾ وبقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

وبعض الأحاديث الأخرى، ولكلا الفريقين إجابات وردود على الآخر، والمسألة لها أصول وتفاصيل وفروع لا يحتمل المجال ذِكرها،ولكن أحببنا أن نشير إليها،وبالله التوفيق.

(1) ـ رواه مسلم (2572)، وهذا الحديث فيه جواب على إشكال، وهو: **إذا كان البلاء لتكفير السيئات، فما الحكمة من بلاء الأنبياء وهم معصومون ومن أهل الجنة؟**

والجواب: إنما البلاء للأنبياء يكون لأمور، ومنها:

أ ـ كما في الحديث: لِرفعة درجاتهم صلوات ربي وسلامه عليهم.

ب ـ ليتسلَّى بهم مَن بعدهم من الصالحين والمصلِحين وغيرهم من أُمَمهم: فيأتسون بهم، ويصبرون.

ج ـ ولتزداد سيئات المشركين المحاربين لأنبياء الله، فيمتلئ صاع الكفار، فيستحقون العقاب الوخيم الأليم؛ لكفرهم بأنبيائهم، وغير ذلك من الحِكم العظيمة.

((الحكمة العاشرة)):

البلاء يربِّي الرجال

البلاء مصنع الرجال؛ فالابتلاء يربِّي الرجال؛ ولذلك سيد الرجال رسول الله ﷺ اختار الله سبحانه وتعالى له العيش الشديد الذي تخلَّلته الشدائد منذ الصِّغَر: فقد مات أبوه قبل أن يُولد، ثم بعد ذلك ماتت أمه، ثم جدُّه، ثم بعد ذلك انتقل للعيش مع عمه، ثم رعى الغنم، ثم بعد ذلك اشتغل بالتجارة..... إلخ، بأبي هو وأمي!

فكأن الله سبحانه وتعالى يهيئ نبيه ﷺ بهذه الشدائد وبهذه التربية لأجل هذه المهمة العظيمة التي خلقها ربنا سبحانه وتعالى له، وهي النبوة والرسالة ﷺ، وكذلك الصحابة رضي الله عنهم عاشوا في شدة العيش تربيةً من الله سبحانه وتعالى لهم لحمْل لواء الدين وحمْل هذه الرسالة التي أتى بها النبي ﷺ، ولتبليغ هذه الرسالة بعد موت النبي ﷺ، ولفتح الفتوحات.

وكذلك تجد العلماء الربانيين - كالأئمة الأربعة وغيرهم - عاشوا في فلك اليُتْم والفقر والبلايا والمحن تهيئةً مِن الله سبحانه وتعالى لهم، وكأنما يُعِدُّهم سبحانه وتعالى بهذه المعاناة وهذه الشدائد من الصِّغَر لتحمُّل المسئولية والأمانة العظيمة في الكِبَر.

((الحكمة الحادية عشرة)):

تعلُّق القلب بالله جَلَّ جَلَالُهُ

فالإنسان عندما تضيق عليه الأمور يزداد تعلُّق قلبه بربه جَلَّ جَلَالُهُ، وينتظر الفرج من ربه وخالقه ومولاه، ولا سيما إن طال البلاء وضعف احتماله، فإنه يلجأ إلى ربه تبارك وتعالى، ويعلم أنه لا محيص ولا مفر ولا مخرج له من البلاء إلا بالله جَلَّ جَلَالُهُ، فيعلِّق قلبه بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فكم من عبد علَّق قلبه بالله جَلَّ جَلَالُهُ بعد البلاء! فسبحان ربِّ العرش العظيم!

((الحكمة الثانية عشرة)):

البلاء يكشف حقيقة الدنيا

البلاء يكشف حقيقة الدنيا، ويكشف لك زَيْفَها، وأنها متاع الغرور؛ فالحياة الكاملة ليست في هذه الدنيا؛ فهذه الحياة ما هى إلا متاع كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾{آل عمران:185}

وكما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ ﴾{الحديد:20}

فهذه الدنيا ليست بحياةٍ –حقيقةً– إنما هي أشبه بالحياة الزائفة كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾{العنكبوت: 64}

فالحياة الحقيقية إنما هي عند الله في الآخرة، أما هذه الدنيا: ففيها ما فيها من النَّكد والتعب والهمِّ كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ {البلد:4}.

((الحكمة الثالثة عشرة)):

الاشتياق للجنة

فإنك -أخي الحبيب- لن تشتاق إلى الجنة إلا إذا ذُقْتَ مرارة الدنيا، فكيف تشتاق للجنة وأنت هانئ العيش في هذه الدنيا ؟!

ولذلك لما سُئل الأمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: مَتَى يَجِدُ الرَّجُلُ الرَّاحَةَ ؟

قَالَ: ((عِنْدَ أَوَّلِ قَدَمٍ يَضَعُهَا فِي الْجَنَّةِ)) [1]

فهناك تكون الراحة في الدار التي فيها النعيم المقيم، التي لا فيها كدر ولا همٌّ ولا حزن ولا بلاء بفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

((الحكمة الرابعة عشرة)):

التمييز بين أُخُوَّة الصدق، والأصحاب والأصدقاء الحقيقيين وغيرهم

فالإنسان يميز بين: إخوان الصدق والأصدقاء الحقيقيين، وأصدقاء المصلحة.

كما قال الشاعر:

جَزَى اللهُ الشَّدَائِدَ كُلَّ خَيْرٍ ..... وَإِنْ كَانَتْ تُغَصِّصُنِي بِرِيقِي
وَمَا شُكْرِي لَهَا حَمْدًا وَلَكِنْ ..... عَرَفْتُ بِهَا عَدُوِّي مِنْ صَدِيقِي

([1]) ـ تاريخ دمشق، ابن عساكر (3 / 315) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

((الحكمة الخامسة عشرة)):

التذكير بالذنوب، والحث على التوبة والعودة

البلاء يذكِّرك بذنوبك؛ لتتوب إلى ربك جَلَّ جَلَالُهُ ، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ {النساء: 79}

ويقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ {الشورى: 30}

فالبلاء فرصة للتوبة قبل أن يحِلَّ العذاب؛ لأنه يذكِّرك بذنوبك؛ إذ الذنوب سبب البلاء كما قال العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في استسقائه في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ((اللَّهُمّ إنه لم ينزل من السَّمَاءِ بلاءٌ إلَّا بذَنْبٍ، ولن تكشفه إلَّا بتوبة)) [1].

فهذا البلاء سبيل للتوبة، فكم من إنسان كان غارقًا في المعاصي والذنوب فابتلاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فتاب، وآبَ، ورجع الى ربه!

ولذلك قال الله جَلَّ جَلَالُهُ:

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ {السجدة: 21}

والعذاب الأدنى: هو مصيبات الدنيا وبلاؤها ونكدها، وما يصيب

---

[1] ـ المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر الدينوري رقم (727)، المسالك في شرح موطأ مالك، ابن العربي (2 / 298) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

الإنسان من السوء فيها –على وجه من وجوه التفسير– [1].

ولأن الإنسان إذا عاش دون بلاء فإنه سيطغى كما قال الله ﷻ:

﴿ كَلَّا إِنَّ الإنسان لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴾ {العلق:6}

فإذا استمرت هذه الحياة هانئة فسوف يصل الإنسان إلى مرحلة الغرور والكِبْر، ويظن نفسه مستغنيًا عن الله ﷻ، فمن رحمة الله ﷻ أنه يبتلى العبد؛ ليعلم العبد أنه لا يستغني عن خالقه ومولاه طرفة عينٍ، وليعود العاصي إلى ربه ﷻ؛ ولذلك قال الله ﷻ: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ {الروم:41}

فكم من عبد رجع عن غَيِّه وظُلمه ومعصيته بسبب البلاء!

((الحكمة السادسة عشرة)):

قد يكون البلاء علامة على محبة الله للعبد

قد يكون البلاء شرفًا عظيمًا للعبد، ويكون دلالة على محبة الله ﷻ للعبد كما قال النبي ﷺ: ((إذا أحبَّ اللهُ قومًا ابتلاهم، فمَن صبر فله الصبرُ، ومَن جزع فله الجزَعُ)) [2].

فإذا ابتلاك الله ﷻ فتذكر أخي الحبيب أنه يحبك، فيبتليك ربك تكفيرًا

([1]) ـ تفسير الطبري (9 / 166) ط (دار الحديث) القاهرة، وفي تفسيرها أوجه، ومنها: (قيل: الحدود، وقيل: عذاب القبر، وقيل: عذاب الدنيا وعذاب القبر).

([2]) ـ **إسناده جيد:** رواه أحمد (23633)، والبيهقي في الشعب (9784).

لذنوبك ورفعة لدرجاتك بفضل الله ﷻ.

((الحكمة السابعة عشرة)):

استخراج عبوديات كثيرة

فبتقدير البلاء تُسْتَخْرج الكثير من العبوديات؛ فالله ﷻ عندما يبتلي العبد تَظهر حقيقةُ نفْس العبد واقعًا عمليًا أمامه، ويعلم أنه عبد ضعيف لا حول ولا قوة له إلا بربه ﷻ، فإذا علمتَ ضعْفك وفقْرك علمتَ غِنى مولاك وقوته، وفقرك له ﷻ، فتنفجر في قلب العبد عبوديات: فيخشع قلبه، ويخضع، وينكسر، ويتذلل، ويتمسكن لخالقه ومولاه ﷻ.

((الحكمة الثامنة عشرة)):

يُعْلَم بتقدير البلاءِ الصابرُ من غيره

فبتقدير البلاء يُعْلَم الصابرُ من غيره كما قال الله ﷻ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ {محمد:31}،

وقال الله ﷻ: ﴿ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ {آل عمران:142}

ـ وما ذكرناه ها هنا غَيْضٌ من فَيْضٍ في هذا الباب، وهذه بعض الحِكم من وجود البلاء وتقديره.

لكن هاهنا إشكال فيما ذكرناه نختم به، وهو:

قال الله ﷻ:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾

قال الله ﷻ: ﴿ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾

فهل ربنا ﷻ لا يعلم ليقول: حتى يعلم؟

((**الجواب**)):

الله ﷻ يعلم بلا شك؛ فالله ﷻ يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، ولكن المقصود بذلك إقامة الحُجة على العباد؛ حتى إذا جاء العبد إلى ربه تكون قد أُقيمت عليه الحُجة.

فمثلًا: لو أن الإنسان جاء إلى الله ﷻ، فأدخله ربنا النار، فقال العبد: يا ربِّ، علامَ أدخلتني النار ؟

فقيل له: لأنك أيها العبد كنا سنقدِّر عليك البلاء، وأنت ما كنت لتصبر على هذا البلاء، وكنت ستكفر بالله ﷻ؛ لذلك عُذِّبْتَ في النار!

فماذا سيقول العبد؟

ستكون له الحُجة فيقول: يا رب، أنا لم أفعل ذلك، فهل ابتليتني ووجدت مني أنني لم أصبر على البلاء؟

ولذلك يجعل ربنا ﷻ هذا الذي عَلِمَه وكتبه وأراده وخَلَقَه وقدَّره _من فِعل العبد_ واقعًا عمليًا؛ ليكون حُجة على العبد في هذا الباب؛ فسبحان ربنا الحَكَم العَدْل، يفعل ما يشاء ﷻ !

((السؤال الرابع))

كيف [1] يكون في مُلك الله ما لا يحبه الله؟

في البداية - قبل الجواب عن هذا السؤال - نؤصِّل هذا الأصل السابق ذِكره:

((أولًا)):

أنَّ الله ﷻ ((لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)) {الأنبياء:23}

فالخلق خلْقه، والملك مُلكه، يفعل ما يشاء ﷻ.

فلا يصلح أن نقول لله ﷻ: (كيف)؟

محل الإشكال في هذا السؤال:

محل الإشكال في هذا السؤال أننا إذا قلنا أنه لا يوجد في هذا الكون إلا ما شاءه وأراده الله سبحانه وتعالى، فَسَيُشْكل أن هذا الكون فيه: كفر، وقتل،وشر وزنى، وفُحش، وظُلم، وخيانة، وأكْل للحقوق،وانتهاك للأعراض...إلخ.

فهل كل هذه الأشياء أرادها الله سبحانه وتعالى ؟

ولو أرادها سبحانه وتعالى فكيف يكون في مُلْكِ الله ما لا يحبه الله سبحانه وتعالى ؟

فنقول قبل الجواب:

مسائل القدر مدارُها في السير خلف الدليل، مع العبودية والتسليم التام لله ﷻ، وأن يعرف الإنسان قَدْره جيدًا: بأنه عبد مربوب لله ﷻ.

([1]) ـ نذكر السؤال بصيغة (كيف) على سبيل التعليم، وإلا فالأصل: ﴿ لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾.

فلا بد من التسليم التام في باب القدر، ولا ينبغي أن يُعارَض القدر بمثل هذه الأمور، ويُقال "كيف"؛ فربنا ﷻ:

﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾

فالخلق خلقه، والملك ملكه، فأنت عبد مربوب؛ فعليك أن تُسَلِّم أمرك لله ﷻ.

الجواب عن السؤال سيكون من وجوه، وهي:

((الوجه الأول)):

الذي في ملك الله سبحانه وتعالى مما لا يحبه الله سبحانه وتعالى فهو مبغوض لله من وجه، ومحبوب إليه من وجه آخر؛ لما يترتب على ذلك من حِكَم وخيرات عظيمة.

((سؤال)):

وهل يصح أن يكون الشيء محبوبًا ومبغوضًا في نفس الوقت؟

((الجواب)):

نعم، قد يكون الشيء محبوبًا ومبغوضًا في نفس الوقت، فلا منافاة بين بُغْض الشيء وما يترتب على هذا الشيء من خيرات عظيمة، وهذا له صور وأمثلة لا حصر لها، ومنها:

المثال الأول:

رجل أراد أن يحج بيت الله الحرام، فماذا سيفعل؟

سينفق الأموال، ويتكبَّد مشقة السفر، وقد يسافر عن طريق البحر، وقد يتعرض أثناء هذا السفر للغرق، أو الهلاك، أو السرقة ..... إلخ، خاصةً وقد قال النبي ﷺ: ((السَّفَرُ قطعةٌ مِن العَذابِ .....)) (1).

والإنسان بفطرته يبغض التعب والنَّصَب، لكن هذه الأمور المبغوضة ستوصله بفضل الله إلى أمر محبوب، وهو أداء فريضة الحج والعمرة (2)، والتمتع ببيت الله الحرام.

المثال الثاني:

لو أن رجلًا دبَّت الغَرْغَرِينَا (3) في رجله، فماذا سيصنع ؟

سيذهب للطبيب، ويدفع له الأموال؛ ليقوم هذا الطبيب ببتْر القدم، وهذا شيء مبغوض من وجه؛ لأن فيه بترًا للقدم، وفيه إعاقة عن المشي والتحرك، ولكنه سيوصل لأمر محبوب، وهو الحفاظ على باقي البدن من الموت.

المثال الثالث:

المريض عندما يتناول دوائه المُرَّ الكريه، اجتمع له أمر محبوب وأمر

---

(1) ـ رواه البخاري (1804)، ومسلم (1927).

(2) ـ هذا بناء على وجوب العمرة، والقول بوجوب العمرة قال به: طائفة من الصحابة، وطائفة من السلف، وهو الأظهر عند الشافعية، وهو مذهب الحنابلة، وهو مذهب الظاهرية.

(3) ـ هي نوع من أنواع موت الأنسجة الناجم عن عدم كفاية إمدادات الدم، وقد تشمل الأعراض تغيُّرًا في لون الجلد إلى الأحمر أو الأسود، والتورم والألم وبرودة الجلد ووقوعه، وقد تظهر أنواع معينة مصاحَبَة بالحمى أو تعفُّن الدم، وحدوث الغرغرينا في الأيدي والأرجل هو الأكثر شيوعًا.

مبغوض: فهو يشرب الدواء المرَّ وطعمه مبغوض؛ لأجل المصلحة، وهي: الشفاء.

سؤال: قد يُقال: لكن هذه أمثلة تتعلق بالبشر، ولا تتعلق بالله ﷻ فهل هناك مَثَلٌ بالنسبة لاجتماع المحبوب والمبغوض لله ﷻ.

((الجواب)):

هناك أمثلة كثيرة، ومنها: قول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ:

((..... وما تَرَدَّدْتُ [1] عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المؤْمِنِ، يَكْرَهُ الموْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ)) [2].

وهنا قد اجتمع محبوب ومكروه لله ﷻ.

المحبوب: إثابة العبد المؤمن، ومجازاته بالحسنى وزيادة.

والمكروه: أن هذا لا يحدث إلا بقبض روحه وموته ومعاناة السَّكَرات.

([1]) ـ **سؤال:** وهل التردد صفة لله ﷻ؟

((الجواب)): التردد ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: تردد بسبب جهل العواقب: كمن يتردد في الخوض في مسألة لأجل جهله بعاقبتها، وهذا تردد فيه نقص يُنزَّه عنه الله ﷻ، ولا يتصف به لكمال علمه ﷻ.

القسم الثاني: تردُّد بسبب اجتماع أمر محبوب والآخر مبغوض، فيريد الفعل لأجل الأمر المحبوب، ويكرهه لما فيه من الأمر المبغوض، وهذه صفة كمال يتصف بها ربنا ﷻ كما في هذا الحديث.

([2]) ـ رواه البخاري (6502).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

((وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ قَضَى بِالْمَوْتِ: فَكُلُّ مَا قَضَى بِهِ فَهُوَ يُرِيدُهُ، وَلَا بُدَّ مِنْهُ؛ فَالرَّبُّ مُرِيدٌ لِمَوْتِهِ لِمَا سَبَقَ بِهِ قَضَاؤُهُ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ كَارِهٌ لِمُسَاءَةِ عَبْدِهِ، وَهِيَ الْمُسَاءَةُ الَّتِي تَحْصُلُ لَهُ بِالْمَوْتِ، فَصَارَ الْمَوْتُ مُرَادًا لِلْحَقِّ مِنْ وَجْهٍ مَكْرُوهًا لَهُ مِنْ وَجْهٍ، وَهَذَا حَقِيقَةُ التَّرَدُّدِ، وَهُوَ: أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ الْوَاحِدُ مُرَادًا مِنْ وَجْهٍ مَكْرُوهًا مِنْ وَجْهٍ، وَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ تَرَجُّحِ أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ كَمَا تَرَجَّحَ إرَادَةُ الْمَوْتِ، لَكِنْ مَعَ وُجُودِ كَرَاهَةِ مُسَاءَةِ عَبْدِهِ، وَلَيْسَ إرَادَتُهُ لِمَوْتِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَكْرَهُ مُسَاءَتَهُ كَإِرَادَتِهِ لِمَوْتِ الْكَافِرِ الَّذِي يُبْغِضُهُ وَيُرِيدُ مُسَاءَتَهُ)) [1].

((الوجه الثاني)):

هناك فرق بين ما يحبه الله جَلَّ جَلَالُهُ وما يريده الله جَلَّ جَلَالُهُ.

فإن قيل: يبقى السؤال:

هذه الأشياء التي لا يحبها الله ويبغضها، كيف تكون موجودة في هذا الكون بإرادة الله جَلَّ جَلَالُهُ ومشيئته ؟

((الجواب)):

نقول: لأن هناك مسألة، وهي من أهم المسائل، وهي أصل أصيل في ضلال أهل البدع في باب القدر، وهي:

---

(1) ـ مجموع الفتاوى (18 / 131) ط (مكتبة ابن تيمية لإحياء كتب التراث).

أنهم خلطوا ما بين الإرادة وبين المحبة والرضا:

فهناك فرق بين ما يحبه الله جَلَّ جَلَالُهُ وبين ما أراده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إذ إنَّ الإرادة أعم من المحبة والرضا، فهناك إرادة شرعية وهناك إرادة كونية، وقد فصلنا الفرق بينهما في مطلع الشرح [1]، وإليك نبذة عنهما:

ضابط الإرادة الشرعية والكونية:

الإرادة الشرعية لها ضوابط، ومنها:

((الأول)):

أن تكون فيما يحبه الله جَلَّ جَلَالُهُ ويرضاه.

((الثاني)):

أنها قد تقع، وقد لا تقع.

الإرادة الكونية لها ضوابط، ومنها:

((الأول)):

أن تكون فيما يحبه الله جَلَّ جَلَالُهُ ويرضاه، وفيما لا يحبه الله جَلَّ جَلَالُهُ.

((الثاني)):

أنها لا بد أن تقع حتمًا.

---

(1) ـ وذلك لأن هذا الجزء مُفرغ من شرح كتاب القدر بالكامل في دورة علمية سابقة، وقد تم تفريغه وإضافة أشياء ومباحث له، وصار عنوانه:((المختصر في مباحث القدر)) ييسر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بطباعته إن شاء الله.

نبذة في التفريق بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية:

هناك فرق بين ما يحبه الله ﷻ وبين ما يريده الله ﷻ؛ إذ إنَّ الإرادة أعم من المحبة والرضا؛ فإرادة الله ﷻ تنقسم إلى:

أ ـ إرادة شرعية دينية.

ب ـ وإرادة كونية قدرية.

وهناك فوارق بين الإرادة الشرعية والكونية [1]، وإليك هذه الفوارق:

((الفارق الأول)):

الإرادة الشرعية: تكون فيما يحبه الله ﷻ ويرضاه (في الخير).

((مثال)):

أَمْرُ الله ﷻ ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ {الإسراء:23}

فقد أمر الله ﷻ ببر الوالدين، وهذا من الأمر الشرعي أو من القضاء الشرعي أو من الإرادة الشرعية؛ لأن الله يحب التعبُّد له، ويحب بِرَّ الوالدين.

والإرادة الكونية: تكون فيما يحبه الله ﷻ ويرضاه، وفيما لا يحبه الله ﷻ، كوجود الظلم والفسق..... إلخ.

---

(1) ـ ليست المسألة قاصرة على الإرادة، بل هناك:
(الأمر ـ والقضاء ـ والإذن ـ والحكم ـ والتحريم ـ والبعث ـ والإرسال ـ والكتاب ـ والكلمات)
فكل ما سبق: منه الشرعي والكوني، وستأتي في الأمثلة بعض هذه المذكورات.

قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ **هذه إرادة كونية** ((لأن الفسق لا يحبه الله ﷻ)) ولكنه أراده كونًا.

((الفارق الثاني)):

الإرادة الشرعية: قد تقع، وقد لا تقع.

مثل:(توحيد الله، والإيمان به، وبر الوالدين، وأداء الأمانات...إلخ)

فهذه أمور قد تقع وقد لا تقع؛ فليس كل الناس يوحِّدون الله ويؤمنون به، وليس كلهم يبِرُّون آبائهم وأمهاتهم، وليس كلهم يؤدون الأمانات.

الإرادة الكونية: لا بد أن تقع حتمًا، ولا يخرج عنها لا البَرُّ ولا الفاجرُ.

((الفارق الثالث)):

الإرادة الشرعية أو القضاء الشرعي، أو الأمر الشرعي: يكون مقصودًا لذاته، يحبه الله ﷻ لذاته: كأمر الله ﷻ بالإيمان به وبالطاعات والصلاة والذِّكْر..... إلخ.

فهذا أمر شرعي؛ لأنه مقصود لذاته.

الإرادة الكونية ــسواءٌ أكان قضاء أم أمرًاــ فهذا ليس مقصودًا لذاته.

مثال: ((**خلْق إبليس**)) الله ﷻ لم يخلق إبليس لأنه يحبه، وإنما خلقه ﷻ لشيء آخر وحِكَم أخري (وسيأتي معنا سؤال: ما الحكمة من خلْق إبليس؟) [1].

---

(1) ـ انظر: (صـ 111).

((الفارق الرابع)):

الإرادة الشرعية: تتعلق بألوهية الله ﷻ وعبادته وشرعه.

الإرادة الكونية: تتعلق بربوبية الله ﷻ وخلْقه؛ لأنها شاملة لجميع المخلوقات.

((مثال)):

كما قوله ﷻ:

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ {الإسراء:16}

فالفسق لا يحبه الله، وهذا أمر كوني قدري.

((جدول تمثيلي لتقريب الفارق بين الشرعي والكوني))

((الإرادة الشرعية))	((الإرادة الكونية))
تكون فيما يحبه الله ويرضاه (الإيمان بالله، والخيرات، الطاعات)	**تكون فيما يحبه الله، وما لا يحبه الله**
قد تقع، وقد لا تقع، مثل: (الإيمان بالله،بر الوالدين، العدل)	**لابد أن تقع لا محالة** (وجود الكفر والظلم والفسق... إلخ [1])
تتعلق بألوهية الله ﷻ وشرعه	**تتعلق بربوبية الله ﷻ وخَلْقه** (ولا يخرج عنها البَرُّ ولا الفاجرُ)
يكون مقصودًا لذاته، مثل: (الأمر بالطاعات)	**ليس مقصودًا لذاته، مثل:** (خلْق إبليس)

(1) ـ ولا يُفْهَم من ذلك أن الإرادة الكونية تتعلق بالشر فقط، ولكن كل ما وقع في الكون فقد أراده الله كونًا، وقد يكون بعضه مُرادًا شرعًا مثل: ((إيمان المؤمن)) فقد أراده الله شرعًا وكونًا.

((تطبيقات وصور وأمثلة على الشرعي والكوني))

1 ـ الأمر: منه الشرعي، ومنه الكوني:

قال الله ﷻ:﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ {النساء:58}

هذا أمر شرعي ((لأنه قد يقع، وقد لا يقع ـــ فمِن الخلق مَن لا يؤدي الأمانة ـــ)).

ومنه قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ {النحل:90}

هذا أمر شرعي.

قال الله ﷻ ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

هذا أمر وإرادة كونية ((لأنها واقعة لا محالة))

2 ـ الإرادة: منها الشرعية، ومنها الكونية:

قال الله ﷻ: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾

هذه إرادة شرعية دينية ((لأن الله يحب التوبة، ولأنه ليس كل العباد يتوبون))

قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾

هذه إرادة كونية ((لأن الفسق لا يحبه الله ﷻ)).

3 ـ القضاء: منه الشرعي، ومنه الكوني:

قال الله ﷻ: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ {الإسراء:23}

هذا قضاء شرعي ديني ((لأنَّ التوحيد يحبه الله جَلَّ جَلَالُهُ، ولم يقم به كل الناس)).

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ {الإسراء:4}

هذا قضاء كوني ((لأن الفسق لا يحبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى)).

ومنه قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ {فصلت:12}

هذا قضاء كوني ((لأنه واقع لا محالة)) [1].

4 ـ والإذن: منه الشرعي، ومنه الكوني:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾{البقرة:102}

هذا إذن كوني ((لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يحب الضرر)).

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴾ {الأحزاب:46}

هذا إذن شرعي ((لأن الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يحبها الله)).

5 ـ والحكم: منه الشرعي، ومنه الكوني:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ {الرعد:41}

هذا حكم كوني ((لأنه واقع لا محالة))

([1]) ـ المقصود بقولنا: ((واقع لا محالة)) مع أنها أمور ماضية وقد وقعت: أنه أمر لا مجال فيه؛ لاحتمال الوقوع وعدمه؛ فهو لا احتمال في وقوعه (سواء أكان وقع في الماضي أم سيقع في المستقبل).

قال الله ﷻ: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ {المائدة:1}

هذا حكم شرعي ((لأنه قد يقع وقد لا يقع، ويحبه الله ﷻ))

6 ـ والتحريم: منه الشرعي، ومنه الكوني:

قال الله ﷻ: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ ﴾ {المائدة:3}

هذا تحريم شرعي ((لأنه قد يقع وقد لا يقع، ويحبه الله ﷻ))

ومنه قوله ﷻ: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ {النساء:23}

هذا تحريم شرعي ((لأنه قد يقع وقد لا يقع، ويحبه الله ﷻ))

قال الله ﷻ: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ ﴾ {القصص:12}

هذا تحريم كوني ((لأنه واقع لا محالة))

ومنه قوله ﷻ:

﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ ﴾ {المائدة:26}

هذا تحريم كوني ((لأنه واقع لا محالة)).

7ـ والبعث: منه الشرعي، ومنه الكوني:

قال الله ﷻ: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ {الجمعة:2}

هذا بعث شرعي ديني

قال الله ﷻ: ﴿ فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ

شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً ﴾ {الإسراء:5}

هذا بعث كوني قدري.

8 ـ والإرسال: منه الشرعي، ومنه الكوني:

قال الله ﷻ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ﴾{الصف:9}

هذا إرسال شرعي ديني

قال الله ﷻ:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ {مريم:83}

هذا إرسال كوني قدري

وكذلك الكتاب: منه الشرعي والكوني، والكلمات: منها الشرعية والكونية.

((أمثلة واقعية للتطبيق والتفريق بين الإرادتين)):

وهذه بعض الأمثلة العملية في التفريق بين الإرادتين، ومنها:

المثال الأول:

إيمان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ما حكمه ؟

((مُقدَّر شرعًا وكونًا))

مُقدَّر شرعًا: لأنَّ الله سبحانه وتعالى يحب ذلك من عمر رضي الله عنه.

مُقدَّر كونًا: لأنه حدث بالفعل، وآمن عمر رضي الله عنه.

المثال الثاني:

إيمان أبي جهل، ما حكمه ؟

((مُقدَّر شرعًا، وغير مُقدَّر كونًا))

مُقدَّر شرعًا: لأنَّ الله أمره بالإيمان شرعًا، ونهاه عن الكفر.

وغير مُقدَّر كونًا: لأنه ما آمن بالله سبحانه وتعالى، فكان المُقَدَّر له كونًا الكفر ــ وهو عدْل الله فيه ــ.

المثال الثالث:

هزيمة المسلمين في غزوة أُحُدٍ، ما حكمها ؟

((مُقدرَّة كونًا، وغير مُقدرَّة شرعًا)).

مُقدَّرة كونًا: لأنَّها واقعة لا محالة، ولأنها فيما لا يحبه الله سبحانه وتعالى.

غير مُقدَّرة شرعًا: لأن الله لم يأمر بقتْل المسلمين الأخيار، ولا يحب ذلك.

المثال الرابع:

حادثة الإِفْكِ، ما حكم حدوثها ؟

((مُقدَّرة كونًا، وغير مُقدَّرة شرعًا))

مُقدَّرة كونًا: لأنها وقعت ـ لحِكَم عظيمة ـ[1]، وهي فيما لا يحبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

غير مُقدَّرة شرعًا: لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يحب ذلك.

المثال الخامس:

دخول الناس في دين الله أفواجًا، ما حكمه؟

---

(1) ـ **ومن هذه الحِكَم:**

(أ) ـ بيان فضل أمنا: أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(ب) ـ إظهار المنافقين، وبيان حالهم، وفضحهم.

(ج) ـ رفعةً لدرجات النبي صلى الله عليه وسلم ودرجات أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(د) ـ أن نعلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم الغيب.

(هـ) ـ رعاية الله لأوليائه.

(و) ـ البُهْتان يجُرُّ إلى الهلاك.

(ز) ـ عدم إخبار المريض بما يزيد مرضه ويكدِّره.

(ح) ـ بيان سُنة الاستشارة، وجواز استشارة الفاضلِ المفضولَ.

(ك) ـ بيان فضل الصحابة الذين دافعوا عن عائشة.

والحادثة بقصتها فيها من الحِكَم العظيمة والكثيرة التي لا يتسع المجال لذِكرها، وتُصنَّف فيها المجلدات.

((مُقدَّر شرعًا، ومُقدَّر كونًا)).

مُقدَّر شرعًا: لأنَّ الله أمر بذلك، ويحب ذلك.

مُقدَّر كونًا: لأنه واقع لا محالة.

المثال السادس:

إصابة النبي ﷺ في غزوة أُحُدٍ، ما حكمه ؟

((مُقدَّر كونًا، وغير مُقدَّر شرعًا))

غير مُقدَّر شرعًا: لأنَّ الله ﷻ لا يحب ذلك، ولم يأمر به.

مُقدَّر كونًا: لأنه واقع لا محالة.

المثال السابع:

أمْرُ الله المرأة بالحجاب، فماتت امرأة قبل أن تلبسه، فما حكمه ؟

((مُقدَّر كونًا، وغير مُقدرَّ شرعًا)).

غير مُقدَّر شرعًا: لأنَّ الله ﷻ لا يحب معصيتها وتَرْكها للحجاب.

مُقدَّر كونًا: لأنه واقع لا محالة.

المثال الثامن:

وجود مَن يُلقِي الشبهات على الدِّين والنبي ﷺ، ما حكمه ؟

((مُقدَّر كونًا وغير مُقدَّر شرعًا)).

غير مُقدَّر شرعًا: لأنَّ الله ﷻ لا يحب ذلك.

مُقدَّر كونًا: لأنه واقع لا محالة.

المثال التاسع:

وجود مَن يَرُدُّ على هذه الشبهات، ما حكمه ؟

((هذا مُقدَّر شرعًا، ومُقدَّر كونًا)).

مُقدَّر شرعًا: لأنَّ الله أمر بذلك، ويحب ذلك.

مُقدَّر كونًا: لأنه واقع لا محالة.

المثال العاشر:

رجل انتحر، ما حكمه ؟

((مُقدَّر كونًا، وغير مُقدَّر شرعًا))

غير مُقدَّر شرعًا: لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يحب ذلك.

مُقدَّر كونًا: لأنه واقع لا محالة.

هذه خلاصة الكلام بإيجاز على هذه الجزئية المهمة.

نعود إلى السؤال:

كيف يكون في ملك الله ما لا يحبه الله تبارك وتعالى ؟

خلاصة الكلام، وتلخيص الجواب:

((أولًا)):

الأشياء التي تكون في ملك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مما لا يحبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو محبوب لله من وجه ومبغوض لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من وجه آخر؛ لما يترتب على هذا المبغوض من الحِكَم والخيرات العظيمة ـ كما سبق وبيناه بحول الله جَلَّ جَلَالُهُ ـ.

((ثانيًا)):

هناك فرق بين ما يحبه الله ﷻ وما أراده الله ﷻ، فليس كل ما أراده الله يحبه؛ إذ الإرادة أعم من المحبة والرضا.

وبالله التوفيق ...

((فصل)):

((ذِكر بعض الردود المُفْحِمة في الرد على منكري الإرادة الكونية))

جواب زيد بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الْمُطَّلِبُ بْنُ زِيَادٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، فَقَالَ:

يَا زَيْدُ، أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُعْصَى ؟

فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: ((أَيُعْصَى عَنْوَةً ؟))

قَالَ: فَأَقْبَلَ يَحْظَرُ [1].

جواب ربيعة رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَالَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ غَيْلَانُ لِرَبِيعَةَ:

يَا أَبَا عُثْمَانَ، أَيَرْضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُعْصَى ؟

فَقَالَ لَهُ رَبِيعَةُ: ((أَفَيُعْصَى قَسْرًا ؟!))

قَالَ: وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: يَا أَبَا مَرْوَانَ [2].

جواب أبي إِسْحَاق الإسفراييني رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهي مناظرة مشهورة بَين الْأُسْتَاذ أبي إِسْحَاق الإسفراييني وَالْقَاضِي عبد الْجَبَّار المعتزلي، وفيها:

---

(1) ـ رواه اللالكائي في ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) رقم ((1264)).

(2) ـ رواه اللالكائي في ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) رقم ((1265)).

قَالَ عبد الْجَبَّار فِي ابْتِدَاء جُلُوسه للمناظرة: **سُبْحَانَ مَن تنزه عَن الْفَحْشَاء!**

فَقَالَ الْأُسْتَاذ مجيبًا: ((**سُبْحَانَ مَن لَا يَقع فِي ملكه إِلَّا مَا يَشَاء**))

فَقَالَ عبد الْجَبَّار: ((**أفيشاء رَبُّنا أَن يُعْصى ؟!**))

فَقَالَ الْأُسْتَاذ: ((**أيُعْصى رَبُّنا قهرًا ؟!**))

فَقَالَ عبد الْجَبَّار: ((**أَفَرَأَيْت إِن مَنَعَنِي الْهدى، وَقضى عَليَّ بالردى، أحسن إِلَيّ أم أساء ؟!**))

فَقَالَ الْأُسْتَاذ: ((**إِن كَانَ مَنعك مَا هُوَ لَك فقد أسا، وَإِن مَنعك مَا هُوَ لَهُ فَيخْتَص برحمته مَن يشا**)) فَانْقَطع عبد الْجَبَّار [1].

([1]) ـ طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي (2 / 512) رقم (358) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

((السؤال الخامس)):

هل الإنسان مُسيَّرٌ أو مُخيَّرٌ ؟

بدايةً نقول:

ينبغي للإنسان المسلم أن يكون مستسلمًا لله ﷻ، فلا يتكلم ويتعمق في ما لا يعود عليه بالنفع، ولا يخوض فيما لم يخُض فيه السلف رضي الله عنهم ؛ ولذلك عن القاسم بن محمد رحمه الله أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ الْقَدَرَ، فَقَالَ: ((تَكَلَّمُوا فِيمَا سَمِعْتُمُ اللَّهَ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ، وَكُفُّوا عَمَّا كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ)) [1]

فهذا هو الأصل: أن يتكلم المسلم فيما تكلم فيه الله ورسوله ﷺ، ويمسك عما أمسك عنه الله ورسوله.

قال الإمام عَبْدُ الْعَزِيزِ الْمَكِّيُّ صَاحِبُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رحمه الله وَجَلِيسُهُ: ((عَلَى الْخَلْقِ أَنْ يُثْبِتُوا مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ، وَيَنْفُوا مَا نَفَاهُ، وَيُمْسِكُوا عَمَّا أَمْسَكَ عَنْهُ)) [2].

ولذلك ما كان السلف يسألون عن هذا السؤال، لكن أَمَا إنه طُرِح وشاع بين الناس وحدثت فيه أغاليط، فلا بد من الجواب عن هذا السؤال.

هل الإنسان مُخيَّرٌ أو مُسيَّرٌ ؟

---

(1) ـ ذم الكلام وأهله، لأبي إسماعيل الهروي، (789).

(2) ـ شرح الطحاوية، لابن أبي العز (صـ 141) وعزاه لكتاب (الحيدة) ط (المكتب الإسلامي) بيروت.

الناس يجيبون على هذا السؤال بإجابات خاطئة، فمنهم مَن يقول:

إنَّ الإنسان مُسيَّرٌ مطلقًا

وهذا خطأ " موافق لقول الجبرية ".

ومنهم مَن يقول أنه مُخيَّرٌ مطلقًا

وهذا أيضًا خطأ وليس بسديد، فكلاهما خطأ.

سؤال: وما الصواب ؟

((الجواب)):

الصواب أنَّ الإنسان مُسيَّر ومُخيَّر، أي أنَّ الإنسان مُسيَّر مجبور في أمور معينة لا يختار هذه الأمور ولا مشيئة له ولا اختيار فيها، وهو مُخيَّرٌ في أمور معينة بمشيئة خلقها له الله جل جلاله، وله القدرة على الفعل والاختيار، وهذا الفعل وهذه المشيئة مخلوقه لله جل جلاله، خلقها الله جل جلاله في العبد، ولا تخرج عن مشيئة الله جل جلاله.

((صور وأمثلة على مسائلَ الإنسانُ مُسيَّرٌ (مجبورٌ) فيها)) ومنها:

أ ـ ((عائلتك)):

فأنت لم تخترْ والديك، وإخوتك، وعائلتك.

ب ـ ((المكان الذي وُلِدت فيه)):

فأنت لم تخترِ البلد التي وُلِدت فيها، ولا المحافظة، ولا المنزل الذي وُلِدت فيه.

ج - ((شكلك وصفاتك)):

فأنت لم تختر طولك، ولا لون بَشَرَتِك، ولا شكلك.... إلخ.

فهذه الأشياء أنت مجبور عليها، مُسيَّر فيها، ليس لك فيها اختيار، ولذلك أنتَ لا تُسْأَل عنها يوم القيامة، كما قال النبي ﷺ:

((إنَّ اللهَ لا ينظرُ إلى أَجْسامِكُمْ،ولا إلى صُورِكُمْ،ولكنْ ينظرُ إلى قُلوبِكُمْ وَأعْمَالِكُم)) [1].

وهناك أشياءُ أخرى الإنسانُ مُخيَّرٌ فيها، وله الإرادة والقدرة على الفعل، وله مشيئة واختيار، وهذه المشيئة تحت مشيئة الله جل جلاله، ولا تخرج عن مشيئة الله جل جلاله [2].

((صور وأمثلة على مسائلَ الإنسانُ مُخيَّرٌ فيها)) ومنها:

أ - ((زوجتك)):

فالإنسان يختار زوجته: هذا يختار ذات الدِّين، وهذا غرضه الجمال، وهذا يختار المال والحسَب.....إلخ.

ب - ((الطاعة والمعصية)):

فالإنسان يختار فِعله، سواء فِعل الطاعات أو فِعل المحرمات _والعياذ

---

(1) - رواه مسلم (2564).

(2) - وهذا القيد أساس في منهج أهل السنة والجماعة ((أن للعبد مشيئة لا تخرج عن مشيئة الله))؛ لأنه قد يُقال: مخير، ويُقصد به أنه خلق فِعل نفسه، ومشيئته ليست تحت مشيئة الله وتخرج عنها كما قالت القدرية.

بالله_ يختار الجلوس في مجلس علم شرعي، أو الجلوس في مجلس يشاهد المحرمات ويسمعها ويُشْرَب فيه الخمر، ويختار الذهاب إلى المسجد، أو الذهاب إلى ملهًى ليليٍّ، يختار الأكل من الحرام، أو الأكل من الحلال....إلخ، فهذه الأشياء التي للإنسان فيها اختيار.

((سؤال)):

وما محل الحساب يوم القيامة؟ هل هو على التسيير أو التخيير؟

((الجواب)):

الإنسان يُحاسب على الاختيار الذي اختاره بأهليةٍ، فَعَمِلَهُ، فهو يُحاسب عليه يوم القيامة، كما قال الله جل جلاله:

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ {التوبة:105}

ولذلك إذا ارتفع هذا الاختيار فلا تكليف: كما في الإكراه: فالمُكْرَه الذي ليس له اختيار وُضِعَ عنه التكليف، حتى لو وصل الأمر إلى أن يكفر بالله جل جلاله؛ فإنه لا يُؤاخَذ على ذلك: كما حدث مع عمار بن ياسر رضي الله عنه عندما أرغموه وأكرهوه على كلمة الكفر، فقالها مُكرَهًا، فأنزل الله جل جلاله:

﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ {النحل:106} [1].

([1]) ـ تفسير الطبري، (7 / 271) الآثار رقم: (21948) ، (21951) ط (دار الحديث) القاهرة.

فلذلك عندما يرتفع هذا الاختيار يسقط التكليف، والإثم لا يكون موجودًا؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ :

((إنَّ اللهَ وضَعَ عن أُمَّتي الخَطأَ والنسيانَ وما اسْتُكرِهوا عليه)) (1)

وكذلك العقل: فالمجنون غير مُكلَّف؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ :

((رُفِعَ القلمُ عن ثلاثٍ: عن النائمِ حتى يَسْتَيْقِظَ، وعن الصبيِّ حتى يَشِبَّ، وعن المِعْتُوهِ حتى يَعْقِلَ)) (2)

ومن رحمة الله جَلَّ جَلَالُهُ أنه ((**إذا سَلَب ما وَهَب، أسقط ما أَوْجب**)).

وقد أثبت الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مسألة الاختيار للعبد كما قال الله جَلَّ جَلَالُهُ:

﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ {الإنسان:29}.

وفى الحديث قال ﷺ : ((إنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بيْنَ الدُّنْيا وبيْنَ ما عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ما عِنْدَ اللهِ ....)) (3)

وقد كلف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الإنسان، وألزمه بالأحكام؛ باعتبار ما أعطاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من العقل والإرادة والمشيئة والنظر والفهم، فإذا فقد الإنسان هذه الأشياء بالعجز أو الإكراه لم يعُد مُكلَّفًا.

---

(1) ـ **حسن:** رواه ابن ماجه (2045) وابن حبان (7219) والطبراني في الأوسط (8273).

(2) ـ **صحيح:** رواه أحمد (956)، والبخاري معلقًا بصيغة الجزم قبل الحديث رقم (5269)، وأبو داود (4402)، والترمذي (1423)، وابن ماجه (2042).

(3) ـ رواه البخاري (466)، ومسلم (2382).

((خلاصة الكلام)):

نقول: الإنسان مُسيَّر في أمور، ومُخيَّر في أمور، وفى الجملة: هو مُيسَّر لما لخُلق له كما قال النبي ﷺ: ((اعمَلوا؛ فكلٌّ مُيسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له))[1].

بيان أوجه الأجوبة الصحيحة والخاطئة عن السؤال:

هل الإنسان مُسيَّرٌ أو مُخيَّرٌ ؟

1 ـ مُخيَّرٌ مطلقًا ((جواب باطل خطأ)) **وهو قول القدرية** [2].

2 ـ مُسيَّر مجبور مطلقًا ((جواب باطل خطأ))، **وهو قول الجبرية.**

3 ـ مُسيَّر في أمور ومُخيَّر مطلقًا في أمور ((جواب باطل خطأ)).

4 ـ مُسيَّر في أمور، ومُخيَّر في أمور، واختياره ومشيئته لا تخرج عن مشيئة الله ((هذا هو الجواب السديد الصحيح))، **وهو قول أهل السنة والجماعة.**

((مسألة)):

هل لفظا (مُسيَّر) و(مُخيَّر) وردا في النصوص الشرعية ؟

أما لفظتا (مُخيَّر) و(مُسيَّر) فلم يرِدا في الكتاب ولا في السنة ــ فيما أعلم ــ والذي دلت عليه النصوص الشرعية أنَّ الإنسان له مشيئة واختيار كما قال الله ﷻ:﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾{التكوير:28}

(1) ـ رواه أحمد (14258)، ومسلم (2648).

(2) ـ على التفصيل الذي ذكرناه في أقسام القدرية، وأنهم على ثلاث طوائف، انظر: (صـ 22).

وهذه المشيئة والاختيار تابعة ومحكومة بمشيئة الله جَلَّ جَلَالُهُ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ { التكوير:29}

فليس للعبد مشيئة مستقلة عن مشيئة الله جَلَّ جَلَالُهُ كما سبق وبينّاه ــ بفضل الله ــ.

وبالله التوفيق.

((السؤال السادس)):

هل الإيمان بالقدر يتعارض مع كون الإنسان صاحبَ مشيئةٍ ؟

نقول: عقيدة الإيمان بالقدر لا تتنافى مع كون الإنسان صاحب مشيئة وهو مُخيَّر في فِعله _ بضوابطه _ كما سبق وبيناه في المسألة السابقة.

نقول: **هناك أصل مهم، وهو:**

أنَّ لله جَلَّ جَلَالُهُ المشيئة النافذة ((**فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن**)) ولا يحدث في هذا الكون شيء إلا بمشيئة الله جَلَّ جَلَالُهُ:

((برهان ذلك)):

قوله جَلَّ جَلَالُهُ:﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ {يس:82}

وقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى ﴾ {الأنعام:35}

وقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ {هود:118}

وقوله جَلَّ جَلَالُهُ:﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ {يونس:99}

وقوله جَلَّ جَلَالُهُ:﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ {البقرة:253}

وقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ {السجدة:13}

فهذه نصوص قطعية في أنَّ الله جَلَّ جَلَالُهُ له المشيئة النافذة في هذا الكون سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.**

((نعود إلى السؤال)):

هل الإيمان بالقدر – ومنه: الإيمان بمشيئة الله النافذة – يتعارض مع كون الإنسان صاحب مشيئة؟

((الجواب)):

نقول: قد أثبت الله ﷻ للعبد المشيئة في آيات كثيرة في كتابه، ومنها:

قال الله ﷻ: ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ {الكهف:29}

وقال الله ﷻ: ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ {البقرة:223}

وقال الله ﷻ متوعدًا الذين يشركون به:

﴿ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾ {الزمر:15}

وقال الله ﷻ في تهديد ووعيد آخر:

﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ {فصلت:40}

و قال الله ﷻ في إثبات مشيئة العبد:

﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ {المدثر:37}

وقال الله ﷻ: ﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إلى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ {الإنسان:29}

ولذلك نقول: العبد له مشيئة وإرادة، ولكن هذه المشيئة والاختيار والإرادة التي وهبها الله ﷻ إياه، هى مشيئة تابعة لمشيئة الله، وتحتها، ولا تخرج عن مشيئته ﷻ.

((برهان ذلك)):

ما ذكره ربنا جَلَّ جَلَالُهُ في عدة مواضع من كتابه، منها:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ {المدثر: 56}

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ {الإنسان: 29: 30}

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ {التكوير: 28: 29}

فهذه النصوص واضحة جليَّة بأن للعبد مشيئة تابعة لمشيئة الله، ولا تخرج عنها.

((إشكال)):

فإن قيل: ما دامت مشيئة العبد داخله تحت مشيئة الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولا تخرج عنها، فَعَلام يعاقب ربنا تبارك وتعالى العباد؟

((الجواب)):

هذه من المسائل المشْكِلة في باب القدر، وسنفرد الكلام عن هذا السؤال في سؤال ومبحث مستقل [1].

([1]) ـ انظر: (صـ 153).

ولكن سنضرب لك مثالًا واحدًا يبين لك الجواب عن هذا الإشكال المذكور إجمالًا، وسيكون التفصيل أكثر في المبحث المستقل المتعلق بهذا السؤال إن شاء الله.

((مثالٌ لحَلِّ هذا الإشكال)):

رجل يقود سيارة

فوجد أمامه طفلًا يلعب في الطريق، فأوقف العجلات حتى لا يَصْدِم هذا الطفل.

ورجل آخر يقود سيارة

وجد أمامه طفلًا يلعب بالطريق، فدهسه عامدًا متعمدًا.

((سؤال)):

فهل كلٌّ منهما فعل ما أراده الله تبارك وتعالى شرعًا ؟

((الجواب)):

لا؛ فهذا الذي أوقف السيارة ولم يدهس الطفل: قد فعل ما أراده الله سبحانه وتعالى كونًا وشرعًا، وهذا الثاني الذي دهس الطفل: فعل ما أراده الله كونًا، ولم يفعل ما أراده الله شرعًا.

((سؤال)):

هل هذا الذي أوقف السيارة يستوي فِعله مع الذي دهس الطفل عامدًا متعمدًا؟

((الجواب)):

لا يستويان قطعًا؛ فعند العقلاء الفرق ظاهر واضح لكل ذي عقل؛ فهذا الذي دهس الطفل فعل ذلك مختارًا، وهذا الذي أوقف عجلات السيارة فعل ذلك مختارًا، وفِعل الأول ليس كفِعل الثاني؛ ولذلك مَن أوقف السيارة فِعله ممدوح، والذي دهسه عمدًا يستحق العقاب.

((سؤال)):

هل لو كان الطفل ولدك [1]، وقال لك الذي دهس الطفل عامدًا متعمدًا: لا عتْبَ عليَّ؛ فإني قد فعلتُ مشيئة الله وما أراده كونًا ؟

فهل ستقبل منه هذا التبرير ؟

وهل ستعافيه من تفريطه بفلذة كبدك، أو أنك سترُدُّ عليه مقالته ؟

((الجواب)):

أي عاقل لن يقبل منه هذه الحجة وهذا التبرير الباطل المنكر، ولو رُفع الأمر للقاضي وذكر الجاني هذه الحجة، فلن يقبلها منه، وسيعاقبه بما يتناسب شرعًا مع جريمته.

([1]) ـ أسأل الله أن يعافي أولادنا وأولاد المسلمين، إنما ذكرتُ ذلك على سبيل الزيادة في التأثير في الجواب والبيان، وهو على سبيل المثل والتعليم؛ حتى لا يُعارض بما ورد عن جماعة من الصحابة والسلف: ((البلاء مُوكَل بالكلام)) عافانا الله وإياكم!

((السؤال الذي سيحل الإشكال)):

فإذا كنت أنت أيها العبد المسكين المخلوق لا تقبل هذه الحجة، وتَرُدُّهَا على قائلها، ولا قيمة لها عندك- **فكيف تريد أن يقبلها الله الخالق ﷻ من الكافرين والمجرمين والفاجرين والعاصين ؟!**

وسيأتي بإذن الله مزيدٌ من الجواب عن هذا الاستشكال في السؤال الأخير[1].

وبالله التوفيق ...

---

(1) ـ انظر: (صـ 153)، وما بعدها.

((خلاصة الكلام)):

الإيمان بالقدر لا يتعارض أبدًا مع كون الإنسان صاحب مشيئة، لكن هذه المشيئة إنما هى متعلقه بمشيئة الله ﷻ ولا تخرج عن مشيئته ﷻ؛ ولذلك أثبت الله ﷻ الاختيار للعبد كما قال الله ﷻ: ﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾

وفى الحديث قال النبي ﷺ: ((إنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بيْنَ الدُّنْيَا وبيْنَ ما عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ ما عِنْدَ اللَّهِ...))[1].

وهذه المسألة ظاهرة، خلافًا للجبرية الذين يقولون أنَّ:

" العبد مُجْبَرٌ على أفعاله، ولا اختيار له، وهو كالريشة في مهبِّ الريح، وإن الفاعل الحقيقي هو الله ﷻ، وإن الله سبحانه أجبَر العباد على الإيمان أو الكفر ".

والجبرية أقسام:

منهم الجبرية الغلاة: كالجهمية، ومنهم الجبرية المتوسطة: كالأشعرية، وقد بينَّا الفرق بينهما، وذكرنا أصولهم ودلائلهم بفضل الله ﷻ [2].

([1]) ـ رواه البخاري (466)، ومسلم (2382).

([2]) ـ لأن هذا جزء من شرح باب القدر، وقد ذكرنا الجبرية وأقسامها أثناء الشرح.

((السؤال السابع)):

ما الحكمة من وجود الكفر ؟

بعض الناس يسأل ويقول:

لماذا خلق الله الناس مؤمنين وكافرين ؟

ولماذا لم يخلق الله سبحانه وتعالى الجميع مسلمين ؟

وما الحكمة من وجود الكفر مادام الله يبغضه ؟

نقول: لا شك أن الكفر مبغوض لله سبحانه وتعالى ولا يرضى به؛ قال الله جل جلاله: ﴿ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ {الزمر:7}.

((والسؤال)):

إذا كان هذا الكفر مبغوضًا لله سبحانه وتعالى فلماذا قدَّره الله سبحانه وتعالى ؟

((الجواب)):

الرد على ذلك من وجهين - إجمالًا وتفصيلًا -:

((الرد الإجمالي)):

((أولًا)):

نقول _كما سبق_ الله جل جلاله: ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ فالخلق خَلْقُه، والملك مُلْكُه، يفعل ربنا سبحانه وتعالى ما يشاء دون سؤال.

((ثانيًا)):

ينبغي ولا بد للمسلم في أبواب القدر أن يستحضر المسلم عدل الله سبحانه وتعالى

التام وكمال أفعاله ﷻ، وأنه لا يظلم الناس شيئًا لكمال عدله ﷻ كما قال ﷻ: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ {النحل:118}

قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ {النحل:33}

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ {النساء:40}

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ {يونس:44}

قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ {الزخرف:76}

فربنا ﷻ لا يظلم الناس شيئًا.

((ثالثًا)):

الله ﷻ لا يفعل الأشياء إلا لحكمة عظيمة، ولا يقدِّر المقادير إلا لحِكَم جليلة، علمها مَن علمها، وجهلها مَن جهلها، ويكفيك أخي المسلم أن تعرف أنَّ أفعال الله ﷻ تكون لحِكَم جليلة وعظيمة، وهذه المعرفة الإجمالية في مسألة الحكمة تكفيك.

هذا الجواب الإجمالي، وإليك الجواب التفصيلي:

((الرد التفصيلي)):

أن في وجود الكفر حِكَمًا عظيمة، ومنها:

1- ظهور صِدْق المؤمنين:

حيث إنهم سيعبدون ربهم ﷻ في وسط بيئة مملوءة بالمعاصي والكفر والشر، فيظهر بذلك جليًا صِدْقُ المؤمنين ـ بفضل الله ﷻ ـ.

2- وجود عصاة وكفار يسيئون ويشركون، ثم يتوبون:

فيتوب ربنا ﷻ عليهم كما عند مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لو لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لهمْ)) [1].

فهذا من الحِكَم أن يكون هناك كفار، ومَن يفعل الشرور والظلم، ثم بعد ذلك يتوبون، فيتوب ربنا الرحيم سبحانه وتعالى عليهم.

4- إظهار الله تبارك وتعالى لعباده حِلْمَه وصَبْرَه:

فإذا كان ربنا سبحانه وتعالى يصبر على الفَجَرة المشركين والكفار الذين يتجرؤون على: القتل، وهتْك الأعراض، والكفر بالله، ومحاربة الموحدين، وسبِّ الله سبحانه وتعالى... إلخ.

فربنا سبحانه وتعالى يحلُم ويصبر عليهم؛ لعلهم يتوبون ويرجعون إليه سبحانه وتعالى، فإذا رأى العبد ذلك ـ أن هناك من العباد مَن يكفرون بالله سبحانه وتعالى، ويسبُّونه سبحانه وتعالى ليل نهار، ويَدَّعُون أنَّ له الولد والشريك، ويصرفون ألوان العبادات لغيره سبحانه وتعالى وهو يرزقهم، ويمدهم بالأموال والمتاع ـ، إذا رأى العبد ذلك ظهرت

([1]) ـ رواه مسلم (2749).

أمامه آثارُ حلم الله ﷻ وصبره سبحانه وتعالى.

وفي ذلك يقول النبي ﷺ: ((لاَ أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّهُ يُشْرَكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ)) (1).

فتأمل في عظيم صبره ﷻ !!

وتخيل معي هذا المثل:

لو أنك تسكن في بيت، وهذا البيت فيه رجل يشتمك ويسبُّك كل يوم وأنت قادر عليه؛ فماذا ستصنع ؟

قد تصبر عليه يومًا أو يومين، ولكنك بلا شك ستتجرأ عليه بعد ذلك، وربما ضربته، وانتقمت منه ــ وهو مخلوق مثلك ــ، وأما الله سبحانه وتعالى ــ وهو الخالق ــ: فيسبُّه النصارى ليل نهار ــ وهم عبيده ــ كما قال ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: ((قالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: كذَّبني ابنُ آدمَ ، ولم يَكن ينبغي لَهُ أن يُكذِّبني، وشتَمني ابنُ آدمَ، ولم يَكن ينبغي لَهُ أن يشتُمَني، أمَّا تَكذيبُهُ إيَّايَ: فقولُهُ: إنِّي لا أعيدُهُ كما بدأتُهُ، وليسَ آخِرُ الخلقِ بأعزَّ عليَّ من أوَّلِهِ، وأمَّا شتمُهُ إيَّايَ: فقولُهُ: اتَّخذَ اللَّهُ ولدًا، وأنا اللَّهُ الأحدُ الصَّمدُ، لم ألِدْ ولم أُولَدْ، ولم يَكن لي كفُوًا أحدٌ)) (2).

تعالى الله ﷻ عن ذلك علوًا كبيرًا، فتأمل في عظيم صبر الله ﷻ وحلمه؛

---

(1) ـ رواه مسلم (2804).

(2) ـ رواه أحمد (9114)، والبخاري (4974)، والنسائي (2078) واللفظ له.

فربنا سبحانه وتعالى صبور [1]، ولا أحد أصبر من الله جل جلاله.

فإذا علم العبد ذلك ظهر أمامه حلم الله سبحانه وتعالى وصبره، وتذكَّر العبد معاصيه، وتذكَّر ذنوبه، وتذكَّر تقصيره، وتذكَّر حِلم الله وصبره عليه، مع قدرته جل جلاله على الانتقام من هؤلاء الذين يتجرؤون عليه سبحانه وتعالى، وهذا يجعل المؤمن يطمع في رحمة الله.

فإذا كان الله سبحانه وتعالى يتعامل مع الكافرين المشركين بهذه الطريقة، فكيف يتعامل سبحانه وتعالى مع عبده المؤمن ؟!

5- ظهور لُطف الله عز وجل بعباده المؤمنين:

فتظهر نصرة الله جل جلاله لهم وتدبير أمورهم، وتأمَّلْ ما حدث مع موسى صلى الله عليه وسلم وفرعون عندما أمر الله سبحانه وتعالى موسى صلى الله عليه وسلم أن يخرج بقومه بعيدًا عن فرعون، وإذا بفرعون يأتي بالعدة والعتاد، يأتي بجيش جَرَّار مُدَجَّج بالأسلحة كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴾ {الشعراء:60}

فما الذي حدث ؟

([1]) ـ وقد اختلف العلماء في إثبات هذا الاسم (الصبور) لله سبحانه وتعالى، فأكثر العلماء على إثباته؛ لأنه ورد في رواية الترمذي والبيهقي وابن حبان التي فيها عَدُّ الأسماء، فَمَن صحت أو ثبتت عنده هذه الرواية قال بأن (الصبور) من أسماء الله، ولأنه ورد عند مسلم: ((لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله.....)) فَمَن قال بالاشتقاق ــ المُختلَف فيه بضوابط ــ قال بأنه من أسماء الله سبحانه وتعالى، ومن العلماء مَن لم يثبت هذا الاسم لله سبحانه وتعالى؛ لأن رواية الترمذي ضعيفة لم تصح، وثبوته من رواية مسلم يتعلق بالاشتقاق، وهو عندهم لا يجوز، فلم يثبتوه من أسماء الله سبحانه وتعالى، ولعل هذا القول أقرب، ومعنى (الصبور): الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام.

﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ {الشعراء:61}

تخيل وعِش معي هذا المشهد:

وكأنك واحد من بنى إسرائيل، والبحر من أمامك، وفرعون وجنوده من خلفك، جاء ليبطش بهؤلاء المستضعفين، فالأمر مُنتَهٍ بحسابات الدنيا الحسية "إنا لمدركون"، لكن انظر إلى تدبير الله ﷻ ونصرته ﷻ لعباده المؤمنين ولُطفه ﷻ، وكيف أنَّ الله خيرُ الماكرين، مَكَر بهذا الفرعون الكافر﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ فقال موسى ﷺ يقينًا في الله ﷻ بأنه يدبر أمور المؤمنين الموحدين ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ {الشعراء:62}.

الله أكبر!

يا له من يقين، يقولها بملء فِيه: ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ فأمر ربنا ﷻ موسى ﷺ أن يضرب بعصاه البحر، وشق ربنا ﷻ لبنى إسرائيل طريقًا في البحر يبسًا، وأهلك فرعون ومَن معه أجمعين !

فانظر إلى تدبير الله ﷻ ونصرته لعباده المؤمنين المستضعفين، فهذا لا يظهر إلا مع وجود الكفر.

6- ظهور الكثير من العبادات:

فهناك عبادات ما كانت لتظهرَ إلا مع وجود الكفر والشرك، ومن

هذه العبادات:

أ ـ عبادة الجهاد في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهي من أَجَلِّ العبادات، هذه العبادة الجليلة التي يُكْتَب بها للشهيدِ الأجرُ العظيمُ والثوابُ الجزيلُ عند الله جَلَّ جَلَالُهُ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((للشَهيدِ عندَ اللهِ سبعُ خِصالٍ: يُغفَرُ لهُ في أوَّلِ دُفعةٍ من دَمِه، ويُرَى مَقعدَهُ من الجنةِ، ويُحَلَّى حُلَّةَ الإيمانِ، ويُزوَّجُ اثنينِ وسبعينَ زوجةً من الحُورِ العينِ، ويُجارُ من عذابِ القبرِ، ويأمَنُ الفزعَ الأكبرَ، ويُوضَعُ على رأسِه تاجُ الوقارِ: الياقُوتةُ مِنهُ خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويُشفَّعُ في سبعينَ إنْساناً من أهلِ بيتِهِ)) [1].

وهذه العبادة ما كانت لتظهر لولا وجود الكفر.

ب ـ عبادة الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام:

كما حدث مع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عندما أمرهم ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالهجرة، فتركوا الديار والأهل والأوطان والأموال.........إلخ، لله جَلَّ جَلَالُهُ، تركوا كل شيء لله جَلَّ جَلَالُهُ، من أجل الدِّين: من أجل العقيدة، هاجروا من مكة إلى المدينة حتى أعلى الله جَلَّ جَلَالُهُ منارة الإسلام، وظفر المسلمون بعد ذلك، وبعدما خرجوا من مكة رجعوا إليها بفضل الله جَلَّ جَلَالُهُ، وفَتَحَها نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مشهد

([1]) ـ **صحيح:** رواه أحمد (17182)، والترمذي (1663)، وابن ماجه (2799).

مهيب، عندما دخل النبي بعشرة آلاف [1] من الجنود المسلمين الذين اختلطت العقيدة بدمائهم وعظامهم ولحومهم، فدخل النبي ﷺ مكة بفضل الله تبارك وتعالى فاتحًا إياها بغير قتال كما في الصحيح: قال ابن مسعود رضي الله عنه: دَخَلَ النبيُّ ﷺ مَكَّةَ وحَوْلَ البَيْتِ سِتُّونَ وثَلَاثُ مِئَةِ نُصُبٍ، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بعُودٍ في يَدِهِ، ويقولُ:

((جَاءَ الحَقُّ، وزَهَقَ البَاطِلُ، إنَّ البَاطِلَ كانَ زَهُوقًا))

((جَاءَ الحَقُّ، وما يُبْدِئُ البَاطِلُ وما يُعِيدُ)) [2].

فلولا وجود الكفر ما ظهرت هذه العبادة العظيمة _ الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام _ وما ظهرت تضحية المسلمين بكل شيء لله جل جلاله.

ج ـ عبادة دعوة الناس إلى لا إله إلا الله:

فلولا وجود الكفار لما كانت هناك دعوة إلى التوحيد، وما كان هناك مَن يقومون بدعوة غير المسلمين إلى توحيد الله [3] وإلى دين الله جل جلاله.

د ـ عبادة الصبر على أذى المشركين:

من حِكَم وجود الكفار ظهورُ عبادة الصبر على أذى المشركين: أذى

---

(1) ـ شرح معاني الآثار (3 / 244) رقم (5327)، والحديث سنده صحيح، ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

(2) ـ رواه البخاري (4720)، ومسلم (1781).

(3) ـ وليس معنى هذا أن الكلام على التوحيد لا يكون إلا بين الكفار، بل المقصود دعوة غير المسلم للتوحيد.

بالكلام، والقتال، والتشريد، والتجويع للمؤمنين، وكذلك أذى إلقاء الشبهات على دين الإسلام؛ فعندما يحدث ذلك يخرج مَن يقاتل عن دين الله ﷻ، ويخرج أيضًا مَن يرُدُّ على هذه الشبهات.

هـ ـ اصطفاء الله:

فبوجود الكفار، والحرب بينهم والموحدين المسلمين، يصطفي الله ﷻ مَن يشاء من خلقه؛ ليكونوا شهداء كما سبق وبينَّا ذلك بفضل الله.

و ـ خلق الأضداد " الأشياء المتناقضة ":

مثل: الإيمان والكفر، فيظهر حُسْنُ الضِّد بظهور خلافه، فلولا الليل ما عُرف النهار، ولولا الشر ما عُرف الخير، فعندما يرى الإنسانُ الكافرين الذين يعبدون غير الله يعرف نعمة التوحيد.

فَلَكَ أن تتخيل أن في الهند في ولاية "**راجستان**"

فيها معبد لعبادة الفئران من دون الله ﷻ، تُبْنَى المعابد الضخمة، ويُنفق عليها الكثير من الأموال؛ من أجل أن يُعبد الفأر من دون الله ﷻ !!

فعندما ترى هذا الكفر تعلم أنك في نعمة عظيمة، وتقول: الحمد لله على نعمة الإسلام، وقد صدق مَن قال:

ماذا فقد مَن وجد الإسلام ؟! وماذا وجد مَن فقد الإسلام ؟!

فلولا وجود الكفر ما ظهرت هذه العبادة العظيمة، وغيرها كثير.

7- ألا يأمن الإنسان على نفسه:

بمعنى أن الإنسان لا يأمن من مكر الله ﷻ إذا رأى الإنسان أنه معه في هذا الكون مَن يشركون بالله ﷻ ومَن كفر بالله، فإنَّ هذا يحمله على الخوف على نفسه، فكما وقع هؤلاء في الكفر، فما يدريني: لعلى أيضًا أقع فيما وقعوا فيه ــ والعياذ بالله ــ، وهذا يحمله على عدم الأمن من مكر الله ﷻ.

كما قال الله ﷻ:﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ {الأعراف:99}

9- وجود الولاء والبراء:

فلولا وجود الشرك والكفر ما وُجد الولاء والبراء؛ إذ إنَّ المؤمن يوالي الله ورسوله والمؤمنين، ويعادي الشرك والمشركين ولا يواليهم [1] !

10- ظهور آثار قدرة الله ﷻ:

بمعنى أن الله ﷻ خلق الخلق على اختلافهم الذي قَدَّرَه، وهو على ما يلي:

---

(1) ـ وموالاة المشركين: منها ما هو كفر، ومنها ما ليس بكفر، ومن صور موالاتهم:
((الرضا بكفرهم، ومدْح دينهم، وعدم تكفيرهم، وتفضيلهم على المسلمين، والتحاكم إليهم، ومحبتهم ومودتهم، والركون إليهم، وإعانتهم ومناصرتهم على المسلمين، ومداهنتهم ومجاملتهم على حساب الدين، والثقة بهم واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، ومشاركتهم في أعيادهم وتهنئتهم، ومجالستهم حال استهزائهم بآيات الله، وتوليتهم المناصب المهمة التي يتحكمون بها في رقاب المسلمين، والتجسس لصالحهم ضد المسلمين...... وغير ذلك)).
وهذه الأشياء المذكورة: منها ما هو كفر، ومنها ما هو حرام.
وإذا علمت أن موالاة المشركين: منها ما هو كفر أكبر، ومنها ما هو معصية، يظهر فُحْش غلط مَن ظن أن كل موالاة للمشركين كفر أكبر، وبنى على ذلك تكفير المسلمين بما ليس بمُكفِّر ــ والعياذ بالله ــ وبالله التوفيق.

أ ـ الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون **(وهم الملائكة)**.

ب ـ الذين يطيعون ويعصون (**وهم أهل الإيمان والإسلام**).

ج ـ الذين يعيشون حياتهم في دَرَكات الشرك **(وهم المشركون الكفار)**.

د ـ الذين يعصون ولا يطيعون (**وهم الشياطين**).

ــ فتظهر بذلك آثار قدرة الله ﷻ بتنوُّع خلقه ﷻ.

أ ـ حيث إنه خَلَقَ –من خَلْقِه– الذين لا يعصونه أبدًا، ويعبدونه بلا ملل **(وَهُم الملائكة)**.

قال الله ﷻ: ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ {التحريم:6}

وكما قال النبي ﷺ: ((إِنِّي أَرى ما لا ترَوْنَ، وأسمَعُ ما لا تَسمَعونَ: أطَّتِ السماءُ وحُقَّ لها أنْ تَئِطَّ؛ ما فيها مَوضِعُ أربعِ أصابعَ إلَّا عليه مَلَكٌ ساجدٌ، لو عَلِمْتم ما أعلَمُ لضَحِكْتم قليلًا، ولبَكَيْتم كثيرًا، ولا تلَذَّذْتم بالنساءِ على الفُرُشاتِ، ولخَرَجْتم على –أو: إلى– الصُّعُداتِ تَجْأَرونَ إلى اللهِ)).

قال: فقال أبو ذَرٍّ: واللهِ، لوَدِدْتُ أَنِّي شَجرةٌ تُعضَدُ)) [1].

ب ـ وخلق الله ﷻ أهل الإسلام الذين يوحِّدون الله ﷻ، وهم يطيعون ربهم ويعصونه؛ لأنَّه ما من واحد منا إلا وله معاصٍ وله ذنوب، ويتوب

(1) ـ **حسن لغيره:** رواه أحمد (21516)، والترمذي (2312)، وابن ماجه (4190)، وهذا لفظ أحمد.

الله على مَن تاب، ويستر ربنا تبارك وتعالى علينا جميعًا.

ج ـ وخلق الله قومًا كافرين، حياتهم دومًا في شركٍ ومعاصٍ وذنوبٍ.

د ـ وخلق الشياطين الذين يعصون ولا يطيعون.

فتأمل: خَلَق الله ﷻ الذي يطيع ويدوم على هذه الطاعة، وخلق الكافر الذي لا يطيع ربه ﷻ، وخلق ربنا ﷻ ما بين هذا وذاك: الذين يطيعون ويعصون من أهل الإسلام، فبذلك تظهر قدرة الله ﷻ وآثار خلقه، وأنه ﷻ على كل شيء قدير.

((فائدة تربوية)):

عندما تعلم أنَّ هناك من خلق الله مَن لا يعصي الله، ولا يفتر عن ذِكره، ولا يمل من طاعة الله ﷻ، عندما يتدبر المسلم ذلك سيجد فوائد عظيمة، ومنها:

أ ـ عندما تتعبد لربك ﷻ، وتقوم الليل، وتفعل ألوانًا من العبادات، فتُعجب بهذه العبادة، فتتَذكَّر عبادة الملائكة الذين هم أكثر عبادةً منك، فحينها ينقطع العجب عنك لا محالة، وتزيد همتك للطاعة.

ب ـ عندما تستقِلُّ عدد السالكين في طريق الحق، فتُذَكِّر نفسك أنك لست وحدك، بل هناك من الملائكة خَلْقٌ كثير لا حصر لهم، يعبدون ربهم ليلًا ونهارًا؛ ولذلك شُرع لنا في الصلاة في الركوع والسجود أن

نقول: ((سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المِلائِكةِ والرُّوحِ)) [1].

لقَطْع العُجْب، ولتذكير نفسك بأنك لست وحدك في هذا الطريق، فتأنس وحشتك من قلة السالكين!

(1) ـ رواه أحمد (25146)، ومسلم (487)، وأبو داود (872) والنسائي (1134) ونص الحديث: كان رَسولُ اللهِ ﷺ يَقولُ في سُجودِه ورُكوعِه: ((سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المِلائِكةِ والرُّوحِ)).

((السؤال الثامن)):

ما الحكمة من وجود إبليس؟

لا شك أن إبليس مبغوض وملعون من الله ﷻ.

والسؤال: مع أن إبليس يوسوس للناس، ويزين لهم المعاصي، ويفسد ذات البين، ويحث الناس عل الكفر والشرك بالله ﷻ والإجرام والفجور، ويشيع الفساد في الأرض..... إلخ.

فإذا كان من وراء إبليس هذا السوء، فما الحكمة من خلق إبليس؟

الجواب: الرد على ذلك من وجهين - إجمالًا وتفصيلًا -:

((الرد الإجمالي)):

((أولًا)):

نقول _كما سبق وذكرناه _ الله ﷻ ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ فالخلق خلْقه، والملك مُلكه، يفعل ربنا ﷻ ما يشاء.

((ثانيًا)):

الله ﷻ لا يفعل الأشياء إلا لحكمة عظيمة، ولا يقدِّر المقادير إلا لحكم جليلة، علمها مَن علمها، وجهلها مَن جهلها، ويكفيك أن تعرف أنَّ أفعال الله ﷻ تكون لحِكم جليلة وعظيمة، وهذه المعرفة الإجمالية في مسألة الحكمة تكفيك.

((الرد التفصيلي)):

أنَّ إبليس وإنْ كان ملعونًا مطرودًا من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مبغوضًا من الله جَلَّ جَلَالُهُ، لكن وجوده محبوب من وجه آخر؛ لأنه سيترتب على خلْق هذا اللعين أمور عظيمة، منها:

1ـ التفريق بين المؤمن الصادق وغير الصادق:

فابتلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به العباد؛ ليعلم الله الصادق من الكاذب، مَن الذي سيطيعه ويسير في فَلَكه، ومَن الذي سيقدِّم شريعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على شيطانه وهواه؛ فإبليس بلاء واختبار للعباد؛ ليَعلم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الصابرين والصادقين كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ {العنكبوت:2،3}

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ {محمد:31}

لكن هاهنا إشكال، وهو:

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾

فهل ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يعلم؛ ليقول: حتى يعلم ؟

((الجواب)):

الله ﷻ يعلم بلا شك، فالله ﷻ يعلم: ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون؛ وهو الذي قدَّر المقادير، وهو الذي أراد ما يحدث في هذا الكون ﷻ، وله الإرادة الشرعية والإرادة الكونية؛ لكن هذا العلم لإقامة الحُجة على الناس؛ ليظهر عِلم الله وإرادته ﷻ واقعًا عمليًا، فيحاسب الناس على أعمالهم واختياراتهم، وقد سبق الجواب عن هذا الإشكال في سؤال سابق [1].

2 ـ أنه اختبار للعباد:

فوجود إبليس مَحَكٌّ، امتحن الله ﷻ به خلقه؛ ليتبين الخبيث من الطيب كما قال الله ﷻ: ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ {آل عمران: 179}

وقال الله ﷻ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ {الأنبياء:35}.

قال الله ﷻ:﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ {العنكبوت:2،3}

فوجود إبليس اختبار للعباد.

---

(1) ـ انظر: (صـ 62).

3 ـ تثقيل ميزان المؤمنين:

فبمجاهدة إبليس وبمخالفته يثقل ميزان المؤمن، مثلًا: إنسان زين له الشيطان الزنى، فهو يجاهد نفسه، ويجاهد شيطانه، ويترك ذلك لله ﷻ، أليس في هذا تثقيلٌ للموازين؟

وعندما يرى أهل الإيمان البلاء والاضطهاد الذي يصيبهم لأجل التمسك بدينهم، فيزين لهم الشيطان أن يتعدوا ويتركوا هذا الطريق، فيجاهدون أنفسهم في هذا الباب، ويخالفون عدوهم إبليس، فهذا فيه تثقيل للموازين.

4 ـ عدم الأمن من مكر الله سبحانه وتعالى.

فمن الممكن أن ينجرف الإنسان مع الشيطان في أي لحظة، فيستحضر الإنسان ذلك كما قال الله ﷻ:

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾{الأعراف:97:99}.

فالإنسان لا يكون آمنًا من مكر الله سبحانه وتعالى؛ لأن شيطانه قد يغويه في أي لحظة ــ نعوذ بالله من الخذلان ــ.

5 ـ العبرة والعظة:

حيث جعل الله ﷻ إبليس عبرة وعظة لمن خالف أمره، وتكبر عن

طاعته ﷻ، وأصر على معصية الله، كما قصَّ ذلك ربنا ﷻ في كتابه: قال الله ﷻ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ، قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ {الأعراف: 11، 12 ، 13}.

فَطُرِدَ إبليس من الجنة بهذا الذنب، وفي هذا عبرة وعظة لمن خالف أمر الله ﷻ وتكبر عن طاعته ﷻ، وعندما حدث ذلك مع إبليس ازداد الخوف عند الملائكة كما ذُكر:

((أنَّ إبليس كان مع الملائكة عابدًا لله ﷻ مجتهدًا في عبادة الله، وهو من الجن [1]، ولكن ارتفع بعبادته لله، وصار مع الملائكة)) [2].

فَطُرِدَ من رحمة الله بهذا الذنب وباستكباره.

ــ وأما الإنسان: فيخاف على نفسه أيضًا من النزول في دَرَك البعد عن الله ﷻ والنزول إلى غضب الله ﷻ، فإبليس لُعن وطُرد بذنب واحد،

([1]) ـ وفي هذا خلاف بين المفسرين، منهم مَن قال: هو من الجن؛ لقوله تعالى: ﴿ إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾، ومنهم من قال هو مِن حيٍّ مِن أحياء الملائكة خُلقوا من نار السموم من بين الملائكة، وقيل غير ذلك، ومَن قال أنه من الملائكة أَوَّل آية الكهف.

والأقرب ــ والله أعلم ــ أنه من الجن كما هو ظاهر الآية.

([2]) ـ تفسير القرطبي (1 / 287) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة، تفسير ابن كثير (1 / 97). ط (دار القلم للتراث) القاهرة.

والسعيد من وُعظ بغيره، فكان ما حدث مع إبليس موعظة وعبرة للعالمين، نسأل الله الثبات والإخلاص!

6 ـ التعبد لله ﷻ بأنواع من العبادات ما كانت لتوجد لولا وجود إبليس:

ومن هذه العبادات:

أ ـ الاستعاذة بالله ﷻ من الشيطان الرجيم:

كما قال الله ﷻ: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ {الأعراف:200}، فيتعبد الناس بهذه العبادة عندما يقرأون القرآن [1]، وعندما يغضبون [2]، وفى الأمور التي شُرعت لها الاستعاذة [3] بالله ﷻ، ويُعْطَوْنَ الأجر على ذلك.

([1]) ـ **برهان ذلك:** قوله ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ {النحل:98}.

([2]) ـ برهان ذلك: ما ورد في الصحيح من حديث سليمان بن الصرد رضي الله عنه قال: كُنْتُ جَالِسًا مع النبيّ ﷺ ورَجُلَانِ يَسْتَبَّانِ: فأحَدُهُما احْمَرَّ وجْهُهُ، وانْتَفَخَتْ أوْدَاجُهُ، فَقالَ النبيُّ ﷺ: ((إنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لو قالَهَا ذَهَبَ عنْه ما يَجِدُ، لو قالَ: أعُوذُ باللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عنْه ما يَجِدُ......)) رواه البخاري (3282).

([3]) ـ **وهي كثيرة، ومنها:**

أ ـ عند تلاوة القرآن. ب ـ وعند الغضب. ج ـ وعند دخول الخلاء. د ـ وعند سماع نهيق الحمار. هـ ـ وعند وساوس الشيطان، وغير ذلك من المواطن....إلخ.

ب ـ و كذلك من هذه العبادات: إغاظة الشيطان:

وهذه العبادة ما كانت لتكون موجودة لولا وجود الشيطان.

سؤال: وكيف يغيظ المسلم الشيطان ؟

((الجواب)):

يغيظه بأمور، ومنها:

بطاعته لله ﷻ، وتمسُّكه بالسنة، ومجاهدته لنفسه في الله ﷻ، ومجاهدته لعدوه؛ ولذلك فانظر ماذا قال النبي ﷺ لتظهر إغاظة الشيطان واقعًا عمليًا في نص الحديث النبوي كما في سجود التلاوة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

((إذا قرأ ابنُ آدمَ السَّجدةَ فسجدَ، اعتزلَ الشَّيطانُ يبكي يقولُ: يا ويلَه أُمرَ ابنُ آدمَ بالسُّجودِ فسجدَ فلَه الجنَّةُ، وأمرتُ بالسُّجودِ فأبيتُ فليَ النَّارُ)) [1]،

وفي رواية: ((يا ويْلِي، أُمِرَ ابنُ آدَمَ بالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الجَنَّةُ، وأُمِرْتُ بالسُّجُودِ فَعَصَيْتُ فَلِيَ النَّارُ)).

فعندما تقرأ آية فيها سجدة يُستحب للمسلم أن يسجد بعد قراءة هذه الآية؛ فهذا يغيظ الشيطان، ويجعله ينعزل ويَنْزَوِي ويبكي من فِعل ابن آدم، وكذلك التوبة والرجوع إلى الله ﷻ، فكلما زلَّ العبدُ وعصى، ثم

([1]) ـ رواه مسلم (81)، وابن ماجه (871)، وابن حبان (2759).

تاب العبدُ وأناب إلى ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإنَّ هذا يغيظ الشيطان.

ج ـ ومعرفة مكايد الشيطان، وتحذير الناس منها:

فهذه أيضًا من العبادات التي ما كانت لتكون موجودة لولا وجود الشيطان، فيخرج العلماء والدعاة يحذرون الناس من مكايد الشيطان وحبائله وشِراكه، فَيَحْذَر الناس من الوقوع في مكايد الشيطان.

د ـ عبودية مجاهدة الشيطان:

أن يكمل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لأنبيائه وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة الشيطان الرجيم عدو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومخالفته ومراغمته في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وما كان هذا ليحدث إلا بوجود الشيطان الرجيم.

7 ـ إظهار القدرة الإلهية لله جَلَّ جَلَالُهُ.

فَيُظْهِر ربنا جَلَّ جَلَالُهُ كمالَ قدرته في خلق الأشياء من جهة التفاوت والتضاد: فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلق الملائكة " الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يُؤمرون "، وخلق اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إبليسَ الذي لعنه وطرده من رحمته، وخلق ربُنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الإنسانَ المؤمنَ والكافرَ، وهذا التفاوت من أعظم آيات قدرة الله جَلَّ جَلَالُهُ ومشيئته وسلطانه جَلَّ جَلَالُهُ؛ أن خلق الأشياء بهذا التفاوت، وخلق هذه الأضداد –خلق السماء والأرض، والضياء والظلام، والجنة والنار، والبرد والحر، والطيب والخبيث.....إلخ– فكل هذه الأشياء من مخلوقات الله جَلَّ جَلَالُهُ.

وتأمل هذا:

تأمل وانظر كيف أن الذي خلق إبليس هو الذي خلق محمدًا ﷺ وخلق غيره من الأنبياء والصالحين ﷻ، والذي خلق مَن قال: "أنا ربكم الأعلى" هو مَن خلق مَن سجد له ﷻ وقال: "سبحان ربى الأعلى".

فتأمل قدرة الله، وانظر إلى آلاء قدرته في خلْقه، وتنوُّعهم، وعجيب صُنعه.

8 ـ أن الله ﷻ يحب أن يُظهِر لعباده حلمَه وصبرَه وسعة رحمته:

فبوجود إبليس اقتضى ذلك وجود: مَن يشرك بالله ﷻ، ومَن يضاد الله ﷻ في حُكمه، ومَن يجتهد في مخالفته ﷻ ويسعى في مساخطه ـ والعياذ بالله ـ، بل ظهر مَن يُشبِّه ربه ﷻ بخلقه، بل ظهر مَن يسب الله ليل نهار !

ومع ذلك: يَحْلُم الله ﷻ عليهم، ويُنعم ﷻ عليهم، ويسوق لهم أنواع الطيبات، ويرزقهم ﷻ بأنواع العافية، ويُمَكِّن لهم أسباب ما يُتَلذذ به من أصناف النِّعم، ويجيب ﷻ دعاءهم، ويكشف السوء عنهم، ويعاملهم ﷻ ببره وإحسانه وهو قادر عليهم ﷻ، ولو شاء ربنا ﷻ لانتقم منهم، لكنه ﷻ رحمن كما قال النبي ﷺ: لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِه: ((إنَّ رَحْمَتي سَبَقَتْ غَضَبِي)) [1].

([1]) ـ رواه البخاري (7453)، ومسلم (2751).

وتأمل صبره ﷻ على عباده كما قال النبي ﷺ:

((ما أحَدٌ أصبرَ على أذًى يَسمَعُه مِن اللهِ عزَّ وجلَّ؛ يَدَّعون له وَلدًا، ويُعافيهم ويَرزُقُهم)) (1).

فانظر لعظيم صبره وحِلمه ﷻ، وتأمل أخي في ذنوبك ومعاصيك: كم وكم تجرأتَ على الله ﷻ ؟! وكم وكم وقعت في معصية الله ؟! ولو شاء الله ﷻ لانتقم منك، لكن الله ﷻ رحمك، وسترك، وأسْدَل عليك النِّعم الكثيرة العظيمة، فسبحان الله العظيم ! والحمد لله أنَّ إلهنا هو الله ﷻ.

9 ـ معرفة مآل الكِبْر:

كما قال الله ﷻ وهو يبين ما فعله إبليس: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ {البقرة:34}

فالمتكبر لا يكون صالحًا لله ﷻ، وتكون عاقبته السوء؛ ولذلك كانت آفة إبليس " الكبر " فلم يصلح لله ﷻ، والكبر لا يليق إلا بالله ﷻ؛ ولذلك عاقب الله المتكبرين بأنهم لا ينتفعون بالآيات، قال الله ﷻ:

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ {الأعراف:146}

بل قال ربنا ﷻ في آية أخرى هي غُصَّة في حلوق المتكبرين، وقاسمةُ

(1) ـ رواه أحمد (19589)، رواه البخاري (6099)، ومسلم (2804)، والنسائي في الكبرى (7708).

ظهورٍ لكل متعالٍ، فقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ {النحل:23}

بل وبيَّن نبينا ﷺ أنَّ المتكبر لا يدخل الجنة [1].

كما قال النبي ﷺ:

((لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ)) [2].

وفي رواية: ((لا يدخُلُ الجنَّةَ مَن كانَ في قلبِهِ مثقالُ حبَّةٍ من خردلٍ من كبرٍ، ولا يدخلُ النَّارَ من كانَ في قلبِهِ مثقالُ حبَّةٍ من إيمانٍ)) [3].

وفى الصحيحين قال النبي ﷺ:((اختصمتِ النَّارُ والجنَّةُ،فقالت الجنَّةُ: ما لي يدخلُني الضُّعفاءُ والمساكينُ،وقالت النَّارُ: ما لي يدخلُني الجبَّارون والمتكبِّرون، فقال اللهُ للجنَّةِ: أنت رحمتي أصيبُ بكِ مَن أشاءُ، وقال للنَّارِ: أنت عذابي أصيبُ بكِ مَن أشاءُ)) [4].

فبخلْق إبليس عرفنا وعلمنا مآل الكبر.

ولذلك آدم ﷺ لما عصى ربه ﷻ فتاب، تاب ربنا ﷻ عليه، وأما

---

(1) ـ **والكِبْر أنواع:** منه ما يمنع دخول الجنة مطلقًا (وهو كفر أكبر)، ومنه (ما هو معصية) يستحق صاحبه الحرمان من الجنة لأول وهلة، فيعذبه الله ـ إن شاء ـ وينفذ فيه الوعيد، فيُعاقَب بأنواع الإذلال والصغار بما يشاء الله ﷻ، إلى أن يشاء ﷻ؛ حتى يزول كِبره من قلبه كلية، ثم يدخله الرحمن الجنة بإسلامه وتوحيده.

(2) ـ رواه مسلم (91).

(3) ـ **صحيح:** رواه الترمذي (1998)، وقد ذكرنا هذه الرواية؛ لأنها مفسرة للرواية الأولى من جهة عدم لزوم الخلود الأبدي لكل متكبر، وأنَّ الكبر أنواع: منه ما هو كفر أكبر، ومنه ما هو دون ذلك.

(4) ـ رواه البخاري (7449)، ومسلم (2846).

إبليس: فقد عصى ربه، فطرده ربنا، ولعنه، فبذنب واحد طُرد إبليس من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبذنب واحد أُخرج آدم عليه السلام من الجنة، لكن تاب عليه ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وما الفرق بين معصية آدم ومعصية إبليس ؟

معصية آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت معصية شهوة، فتاب عليه ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن معصية إبليس كانت معصية كِبْر، فطرده الله جَلَّ جَلَالُهُ مذؤومًا مدحورًا، ولعنه؛ ولذلك قال سفيان بن عُيينة رَحِمَهُ اللهُ: ((مَنْ كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ فِي شَهْوَةٍ فَأَرْجُو لَهُ التَّوْبَةَ؛ فَإِنَّ آدَمَ عَصَى مُشْتَهِيًا، فَغُفِرَ لَهُ؛ وَإِذَا كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ فِي كِبْرٍ فَأَخْشَى عَلَى صَاحِبِهِ اللَّعْنَ؛ فَإِنَّ إِبْلِيسَ أَبَى مُسْتَكْبِرًا، فَلُعِنَ)) [1].

([1]) ـ رواه البيهقي في شعب الإيمان (7867).

((السؤال التاسع)):

هل القدر السابق يقتضي ترك العمل؟

في البداية نقول:

معرفة الإيمان بالقدر السابق لا يجوز أن يؤدى إلى ترْك العمل؛ فكلٌ مُيسَّر لما خُلق له، وبيان ذلك من وجوه:

((الوجه الأول)):

هناك فرق بين (ما أراده الله بنا)، وبين (ما أراده الله منا).

فالله ﷻ أراد بنا شيئًا، وهذا الشيء الذي أراده الله هو:

" **القدر المكتوب** ".

وأراد الله ﷻ منا شيئًا آخر، وهو: " **التكاليف الشرعية** ".

فما أراده الله بنا " **القدر المكتوب** " أخفاه ﷻ، وما أراده الله منا " **التكاليف الشرعية** " أظهره ﷻ.

((فلا يصح أن ننشغل بما أراده الله ﷻ بنا عما أراده الله ﷻ منا))

لأن ما أراده الله ﷻ بنا – وهو مآلنا، سواء إلى الجنة أو إلى النار – مكتوب عند الله، ونحن لا نعلمه، فقد أخفاه الله ﷻ عنا.

ـــ وما أراده الله منا وكلفنا به من شرعه قد أظهره ﷻ لنا، فكيف لعاقل

أن ينشغل بالخفي [1] عن الظاهر الجلي المكلَّف به؟

فاحذر أخي الحبيب –رحمنا الله وإياك– من هذه الشبهة الشيطانية.

فلا تنشغل بما أراده الله بك، وانشغل بما أراده الله منك.

واعلم أنك إن أحسنت فيما أراده الله منك، فاعلم أنك قد وُفقت لكل خير وبر، وأنَّ الله ﷻ أراد بك الخير.

((الوجه الثاني)):

الاتكال على القدر وترْك العمل ليس مسلك العقلاء، وبيان ذلك يظهر في أمثلة كثيرة لا حصر لها؛ **فالذي يقول:**

لو قدر الله لنا الطاعة لأطعنا الله، ولو شاء الله أن نصلي لصلَّينا...إلخ، يُجاب على حجته الفاسدة بأمثلة، ومنها:

المثال الأول:

هل يُعقل أن يجلس الإنسان في بيته ويقول:

((لو قدر الله ﷻ لي الشبع سأشبع، وسيدخل الطعام في جوفي !!))

فهل من عاقل يقول ذلك ؟! هل من إنسان يفعل ذلك ؟!

المثال الثاني:

إذا جاء لمن يحتج بالقدر لصٌّ، وأراد أن يسرق ماله، فهل سيتركه ولا

---

(1) ـ ومقصد الذم هنا على مَن يجعل الخفي ــ المآل ــ حجة للتنصُّل والتقصير عن التكاليف الشرعية، وأما الانشغال بالمآل الذي يعين على الاجتهاد والجد في التكاليف الشرعية: فهذا ممدوحٌ: كمن يتذكر المآل، ويخشى على نفسه، ويخاف من النار، فيحمله ذلك على تقوى الله وعدم التقصير.

يقاومه، ويقول:

((هذا كان بقدر الله، ولو شاء الله لعاد إليَّ هذا المال !!))

فهل من عاقل يقول ذلك ؟! هل من إنسان يفعل ذلك؟!

بل سيقاومه للحفاظ على ماله، وحتى لو استولى اللص على ماله، فسيتخذ كل وسيلة لاسترداد ماله، ويذهب للشرطة، وسيترك منهجه الفاسد.

المثال الثالث:

لو مرض هذا الذي يحتج بالقدر، وأُصيب بأوجاع مؤلمة مهلكة في بدنه ستؤدي إلى موته وهلاكه [1]، فهل سيقول:

((هذا بقدر الله، ولو أراد الله شفائي فسيشفيني !!))

فهل من عاقل يقول ذلك ؟! هل من إنسان يفعل ذلك ؟!

بل سيذهب للطبيب على الفور ولا يتلكأ، وسيترك منهجه الفاسد.

المثال الرابع:

لو خرج على هذا الذي يحتج بالقدر أسدٌ، فهل سيقف أمامه ويقول:

((لو قدر الله أن يفترسني هذا الأسد فسيفترسني، ولو أراد الله لي النجاة فسأنجو من هذا الأسد !!))

---

(1) ـ قيدنا بالموت والهلاك ونحوه، خروجاً من الخلاف في حكم التداوي؛ ليصح المثل؛ لأن العلماء اتفقوا على وجوب التداوي في مثل هذه الحال.

فهل من عاقل يقول ذلك ؟! هل من عاقل يفعل ذلك ؟!

المثال الخامس:

خذه ــ مَن يحتج بالقدر على ترك العمل ــ وقِف به عند محطة القطار، وقل له: قِفْ أمام القطار، ولا تتحرك، فإن قُدر لك أن تُقتل تحت العجلات فستُقتل، وإن قُدر لك ألا تموت فلن تموت.

والأمثلة في الباب لا تُعد ولا تُحصى، وفيما ذكرناه كفاية.

واعلم أنَّ الكلام على مسألة القدر وترْك العمل لأجله، هذه حُجة البليد، حُجة الإنسان المتواكل الذي لا يريد أن يُطيع ربه ﷻ؛ ولذلك يحتجون بشبهتهم هذه في الطاعات والتكاليف الشرعية.

ولذلك: يُذْكَرُ أَنَّ رَجُلًا سَرَقَ، فَقَالَ لِعُمَرَ: سَرَقْتُ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، فَقَالَ لَهُ: ((وَأَنَا أَقْطَعُ يَدَكَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ)) (1).

((الوجه الثالث)):

أجوبة شافية وردت في النصوص الشرعية، ومنها:

أ ـ قال الله ﷻ: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ {الأنعام:148}.

(1) ـ منهاج السنة النبوية، ابن تيمية (2 / 69) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

ب ـ عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: ((..... فجاءَ سُراقةُ بنُ مالِكِ بنِ جُعْشُمٍ، فقال :يا رسولَ اللهِ، بيِّنْ لنا دِينَنا كأنَّا خُلِقْنا الآن، أرأيْتَ عُمرَتَنا هذه لعامِنا هذا أمْ للأبدِ ؟ فقال: ((لا، بل للأبَدِ)) قال: يا رسولَ اللهِ، بيِّنْ لنا دِينَنا كأنَّا خُلِقْنا الآن، فيمَ العمَلُ اليومَ ؟

أفيما جفَّتْ به الأقلامُ، وجرَتْ به المقاديرُ، أو فيما نَستقبِلُ ؟ قال: ((لا، بل فيما جفَّتْ به الأقلامُ، وجرَتْ به المقاديرُ))،

قال: ففيمَ العمَلُ ؟ قال أبو النَّضْرِ في حديثِه: فسمِعْتُ مَن سمِعَ من أبي الزُّبَيرِ يقولُ: قال: ((اعمَلوا، فكلٌّ مُيَسَّرٌ)) (1).

وفي رواية ((وكل عامل مُيسَّرٌ لعمله)).

قال الإمام النووي رحمه الله:

((وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ النَّهْيُ عَنْ تَرْكِ الْعَمَلِ وَالِاتِّكَالِ عَلَى مَا سَبَقَ بِهِ الْقَدَرُ، بَلْ تَجِبُ الْأَعْمَالُ وَالتَّكَالِيفُ الَّتِي وَرَدَ الشَّرْعُ بِهَا، وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، لَا يَقْدِرُ عَلَى غَيْرِهِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ يَسَّرَهُ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ يَسَّرَهُ اللَّهُ)) (2).

ج ـ حديث الطاعون: لما خرج عمر بن الخطاب إلى الشام، ثم علم بعد الخروج إليها أن فيها وباء، فاستشار الصحابة رضي الله عنهم، وكان قراره أن

(1) ـ رواه أحمد (14116)، ومسلم (2648).

(2) ـ شرح النووي على صحيح مسلم (8 / 450)، حديث رقم (2648) ط (دار أبي حيان).

يرجع، فقال له أبو عبيدة رضي الله عنه : ((...... قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ ؟! فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ ! نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إلى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ: إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ، وَالأخرى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ ؟ وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ ؟ قَالَ: فَجَاءَ عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ – وكانَ مُتَغَيِّبًا في بَعْضِ حَاجَتِهِ – فَقَالَ: إنَّ عِندِي في هذا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يقولُ:

« إذَا سَمِعْتُمْ به بأَرْضٍ فلا تَقْدَمُوا عليه، وإذَا وقَعَ بأَرْضٍ وأَنْتُمْ بهَا فلا تَخْرُجُوا فِرَارًا منه»، قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ، ثُمَّ انْصَرَفَ)) [1].

وجه الاستدلال:

الوباء وقع بقدر الله، ومع ذلك لم يترك عُمر رضي الله عنه العمل، وإنما ردَّ القدر بالقدر.

((خلاصة الكلام)):

الإيمان بالتقدير السابق لا يستلزم ترْك العمل والاتكال عليه، فهذا لا يجوز؛ لأن الإنسان مُيسَّر لما خُلِقَ له، والإنسان عندما يجد من نفسه: فِعل الخيرات، والإقبال على الطاعات، وكراهية الفسوق والمنكرات، فهذه دلالة وعلامة وبشارة من الله سبحانه وتعالى على أنه قد كُتب له الخير.

([1]) ـ رواه مسلم (2219).

وكما قلنا: الله ﷻ أراد بنا شيئًا أخفاه، وأراد منا شيئًا أظهره، فانشغِلْ بما أُريد منك، ولا تنشغل بما أراده الله بك.

وبالله التوفيق...

((السؤال العاشر)):

لماذا [1] يعاقب الله عباده وقد قدَّر عليهم أعمالهم؟

قد يقول قائل:

إذا كنا لا نفعل شيئًا إلا وقد أراده الله سبحانه وتعالى لنا، فلماذا يعذب ربنا سبحانه وتعالى العاصي والكافر؟

وهذا السؤال من أخطر الأسئلة التي يقذفها الشيطان في قلب المسلم في هذا الباب، والإجابة عن هذا السؤال ستكون _ بعون الله _ إجمالًا وتفصيلًا:

((الرد الإجمالي)):

((أولًا)):

نقول _ كما سبق وذكرناه _ الله جل جلاله:

﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾

فالخلق خلْقه، والملك مُلكه، يفعل ربنا سبحانه وتعالى ما يشاء.

فلا بد من التسليم التام، وأن يعلم المسلم أنه عبد لله سبحانه وتعالى، وربنا جل جلاله:

﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾

ووالله، هذه الآية رحمة ونعمة ومِنَّة من الله سبحانه وتعالى، فعندما يأتيك الشيطان

([1]) ـ الله تبارك وتعالى لا يُسأل: لماذا؟ جل في علاه ((لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون))
وإنما ذكره العبد الضعيف _عفا الله عنه_ في مقام التعليم، والله من وراء القصد والسبيل.

فإذا كنت من أهل الإيمان فتكفيك هذه الآية؛ فالخلق خلْقه، والملك مُلكه، يفعل ما يشاء، فإذا استحضر المسلم التسليم التام والعبودية لله ﷻ فهذا يعينه على مِثْل هذه السؤالات.

((ثانيًا)):

أنه ينبغي ولا بد للمسلم في أبواب القدر أن يستحضر عدل الله التام وكمال أفعاله ﷻ، وأن الله لا يظلم الناس شيئًا لكمال عدله ﷻ كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾{النحل:118}

قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ {النحل:33}

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ {النساء:40}

قال الله ﷻ:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ {يونس:44}

قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ {الزخرف:76}

فربنا ﷻ لا يظلم الناس شيئًا.

((ثالثًا)):

الله ﷻ لا يفعل الأشياء، ولا يقدِّر المقادير إلا لحِكَم عظيمة جليلة، علمها مَن علمها، وجهلها مَن جهلها، وهذه المعرفة الإجمالية في مسألة القدر تكفيك.

((الرد التفصيلي)):

نقول: إنَّ هذا السؤال يتضمن سؤالين، وهما:

السؤال الأول:

((هل يسوغ الاحتجاج بالقدر على الكفر والمعاصي والتقصير؟))

السؤال الثاني:

((إذا كان الله سبحانه وتعالى أراد وقَدَّر أعمال الناس، ففيم يعذبهم وقد قدَّر عليهم أعمالهم التي يُعذَّبون عليها ؟))

والجواب عن هذا الإشكال ــ بشِقَّيْه ــ سيكون من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول:

بيان ضعْف هذا الاستدلال، والاحتجاج بأدلة من الكتاب والسنة تبين بطلان هذا الاستدلال.

الوجه الثانى:

بيان بعضَ اللوازم الباطلة التي يتضمنها هذا الاحتجاج.

الوجه الثالث:

مناقشة هذا الاستدلال، وسيتضمن أيضًا تضعيفًا لهذا الاستدلال.

وإليك الجواب التفصيلي عن السؤالين:

((السؤال الأول)):

((هل يسوغ الاحتجاج بالقدر على الكفر والمعاصي والتقصير؟))

اعلم أخي الحبيب _ رحمنا الله وإياك _ أن هذه مسألة تُسمى عند العلماء مسألة: **((الاحتجاج بالقدر على فِعل المعصية))**

وقد حذر منها علماء أهل السنة والجماعة، واتفقوا على حُرمة الاحتجاج بها، ولم يعدُّوا هذه المسألة حُجة معتبرة في هذا الباب، وإليك بيان ذلك:

((الوجه الأول)):

بيان ضعْف هذا الاستدلال، والاحتجاج بأدلة من الكتاب والسنة تبين بطلان هذا الاستدلال:

أولًا: ((بعض أدلة القرآن التي تدل على بطلان هذا الاستدلال)):

((الدليل الأول)):

أنَّ الله جَلَّ جَلَالُهُ لم يعتبر هذه الحجة، وأنكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على قائلها، وسماه: خَرْصًا وكذبًا، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ {الأنعام:148}

وجه الاستدلال من وجوه:

الوجه الأول:

المشركون احتجوا بالقدر على شِرْكهم، وقد أنكر الله ﷻ عليهم هذا الاحتجاج، ولم يقبله منهم، ولو كان احتجاجهم مقبولًا صحيحًا ما أذاقهم الله ﷻ العذاب الأليم، فهذا إن دل فإنما يدل على بطلان هذه الحُجة.

الوجه الثاني:

أنَّ الله ﷻ ذم هذه المقالة، وأشار إلى أنها جهْلٌ وكذبٌ وخَرْصٌ، كما قال ﷻ: ﴿ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾

فسماها ربنا ﷻ: كذبًا غير مبنيّ على علمٍ صحيحٍ مُعتبَرٍ، وسماها: خَرْصًا، قال ﴿ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾

((تَخْرُصُونَ)): تتقولون الباطل على الله ﷻ ظنًا، بغير علمٍ ولا يقين ولا برهان واضح [1] ، فأنكر الله تبارك وتعالى عليهم ذلك.

الوجه الثالث:

أنَّ مَن احتج بالقدر على الذنوب والمعاصي والكفر يلزمه ـــ من قوله ـــ تصحيح مسلك الكفار الذين احتجوا بالقدر ومنهجهم، وربنا جل جلاله قد

([1]) ـ تفسير الطبري (5 / 213) ط (دار الحديث) القاهرة.

أبطل منهجهم ومسلكهم وحجتهم؛ ولذلك عذَّبهم، ومعلوم أنَّ تصحيح المنهج والمسلك الباطل باطلٌ.

((الدليل الثاني)):

قال الله ﷻ: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ {المؤمنون:104: 108}

وجه الاستدلال:

لو كان الاحتجاج بالقدر حجة لاحتج به أهل النار عندما دخلوا النار؛ لأنهم كانوا يُعذبون في النار ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾

فمع عذابهم وشدة كربهم، لم يحتجُّوا بالقدر على كُفرهم، ولكن قالوا: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾

فلو كان الاحتجاج بالقدر حُجة على الذنوب والمعاصي وكان سائغًا، لاحتجوا به؛ لأنهم في أمَسِّ الحاجة إلى مَن يخرجهم من نار جهنم، لكنهم مع التوبيخ والتقريع والعذاب الأليم لم يحتجُّوا بالقدر، وإنما قالوا كما ورد عنهم في آيات:

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾{الملك:10}.

وقالوا كما في آية أخرى:﴿ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إلى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ﴾ {إبراهيم:44}

ولو كان الاحتجاج بالقدر حُجة على الذنوب والمعاصي وكان سائغًا، لاحتج به أهل النار، لكن الذين يُعَذَّبون في النار فقهوا ما لم يفقهه مَن يتحدث بهذه الشبهة.

((الدليل الثالث)):

قال الله ﷻ: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ {النساء:165}.

وجه الاستدلال:

لو كان الاحتجاج بالقدر على المعاصي سائغًا لما انقطعت الحجة بإرسال الرسل؛ لأنَّ الله ﷻ قطع الحُجة بعد إرسال الرسل [1]، فلو كان الاحتجاج بالقدر حُجة ما كان لإرسال الرسل فائدة؛ لأنَّ الحُجة ما

([1]) ـ واعلم أن الحجة تقوم ببلوغ دعوة الرسول، ولا يلزم أن يُبعث الرسول للقوم، ودلالات ذلك كثيرة جدًا، ومنها: قول النبي ﷺ: ((والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بي أحَدٌ مِن هذِه الأُمَّةِ – يَهُودِيٌّ، ولا نَصْرانِيٌّ – ثُمَّ يَمُوتُ ولَمْ يُؤْمِنْ بالَّذِي أُرْسِلْتُ به، إلَّا كانَ مِن أصْحابِ النَّارِ)) رواه أحمد (8203)، ومسلم (153).

وقد فصلنا الكلام عن هذه المسألة في جزء من بحثٍ لنا بعنوان:

((قواعد تأصيلية في التكفير وتوحيد الألوهية)) ييسر الله طباعته ــ إن شاء الله ــ.

قامت بإرسال الرسل ــ على وَفق مذهب الاحتجاج بالقدر، والعياذ بالله ــ فانظر إلى هذا المذهب الباطل كيف يكون فيه طعن كبير في حكمة الله ﷻ.

((الدليل الرابع)):

قال الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ {النحل:35}

وجه الاستدلال:

هؤلاء استدلوا بالقدر على شِرْكهم وشرك آبائهم، لكن الله ﷻ ما اعتبر هذه الحُجة، وعذب مَن مات منهم على الشرك، فلو كانت هذه حجة معتبرة لما عذبهم ربنا ﷻ.

ثانيًا:((بعض أدلة السنة التي تدل على بطلان هذا الاستدلال)):

((الدليل الأول)):

عن علي رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النبي ﷺ فِي جَنَازَةٍ، فَأَخَذَ شَيْئًا، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الأَرْضَ، فَقَالَ: « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ » قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: « اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ:فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ،وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ:

فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ » ثُمَّ قَرَأَ:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ [1].

وجه الاستدلال:

هذا الحديث هَدَمَ هذه الشبهة وأزال الإشكال؛ لأنَّ الصحابة رضي الله عنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم هذا السؤال قالوا:

" أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ "

قال :" اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ".

فهذه حُجة لا قيمة لها، وليست معتبرة عند الله.

((الدليل الثاني)):

ومن آثار الصحابة رضي الله عنهم :

أ ـ ما يُروى عن عمر رضي الله عنه ، أَنَّ رَجُلًا سَرَقَ، فَقَالَ لِعُمَرَ: سَرَقْتُ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، فَقَالَ لَهُ: ((وَأَنَا أَقْطَعُ يَدَكَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ)) [2].

وجه الاستدلال:

احتج هذا الرجل بالقدر على المعائب والمعصية، ولو كانت هذه حُجة مقبولة سائغة عند أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لقبلها عمر رضي الله عنه ، ولو كانت حجة مقبولة عند الصحابة رضي الله عنهم لقام بعضهم، وأنكر على عمر بن

---

(1) ـ رواه مسلم (2647).

(2) ـ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية (2 / 69) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان، والقصة لا تصح، ولكن نذكرها من باب الاستئناس.

الخطاب رضي الله عنه، وقال له:

اقبل هذه الحجة الصحيحة من السارق، فلما لم يَحْدُث عَلِمْنا أن هذا إجماع منهم على هذا الأمر.

((إشكالٌ، وجوابه))

يستدل ويستشكل البعض بحديث آدم وموسى عليهما السلام، وفيه:

عن أبي هريرة قال رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((احتجَّ آدمُ وموسَى [1] عليهما السَّلامُ، فقالَ لَه موسَى: يا آدمُ، أنتَ أبونا، خيَّبتَنا، وأخرجتَنا منَ الجنَّةِ بذنبِك، فقالَ لَه آدمُ:

يا موسَى، اصطفاكَ اللَّهُ بِكلامِه، وخطَّ لَك التَّوراةَ بيدِه، أتلومني علَى أمرٍ قدَّرَه اللَّهُ عليَّ قبلَ أن يخلقني بأربعينَ سنةً؟

([1]) ـ اختلف العلماء ــ رحمهم الله ــ في وقت هذه المحاجة وهذا اللقاء وماهيته، على أقوال:

القول الأول: أنه حدث في زمن موسى صلى الله عليه وسلم، وقد أحيا الله له آدم معجزةً له.

القول الثاني: أن الله كشف قبر آدم لموسى صلى الله عليه وسلم، فتحدثا.

القول الثالث: أن موسى صلى الله عليه وسلم رآى آدم صلى الله عليه وسلم في المنام وحدثت المحاجة، ورؤيا الأنبياء حق.

القول الرابع: أن هذا اللقاء كان بعد موت موسى صلى الله عليه وسلم، فود التقيا في البرزخ.

القول الخامس: أن هذه المحاجة ستحدث في الآخرة، وإنما ذكرها بلفظ الماضي (وهي لم تحدث) لتحقُّق الوقوع.

القول السادس: أن الله آراه روحه، وحدثت المحاجة.

القول السابع: أن هذه المحاجة ذُكِرت على سبيل ضرْب المثل (وهذا أضعف الأقوال).

القول الثامن: أنهم التقيا بأشخاصهما على الحقيقة؛ لأن الشهداء أحياء عند ربهم، والأنبياء أَولى بذلك؛ لأن الأنبياء أحياء في قبورهم كما ورد في الحديث.

وكل الأقوال اجتهادات، ولا توجد رواية ــ فيما أعلم ــ فيها تحديد وقت المحاجة، والأقرب في نظري: أنها محاجة على الحقيقة بأشخاصهما، وقد وقعت كما دل عليه ظاهر الحديث كما ورد في بعض الروايات ((التقى آدم وموسى)) ــ والله أعلم ــ.

وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (541/6) رقم (2579) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة، صحيح مسلم بشرح النووي (453/8) ط (دار أبي حيان)، وفتح الباري (596/11) ط (دار الحديث) القاهرة، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (23 / 245) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

فحجَّ آدمُ موسَى، فحجَّ آدمُ موسَى، فحجَّ آدمُ موسَى _ثلاثًا_)) [1].

وجه الاستشكال:

أن آدم ﷺ حج موسى ﷺ، وقد لامه على الذنب [2]، فاحتج آدم بالقدر، فحجَّه !

وقد اختلفت طرائق الناس في هذا الحديث ومسالكهم: فمسلكان باطلان، ومسلك صحيح _ على الاختلاف في توجيه الحديث _.

أ ـ مسلك رد الحديث وعدم قبوله.

ب ـ مسلك الجبرية.

ج ـ مسلك أهل السنة والجماعة.

وإليك اختصار هذه المسالك:

((المسلك الأول)):

رد هذا الحديث، وتكذيبه، وعدم قبوله،

((وهذا مسلك باطل)).

وهذا مسلك طائفة من القدرية: كالجُبَّائي [3]، وسار على دَرْبِهم في

([1]) ـ رواه البخاري (6614)، ومسلم (2652)، وابن ماجه (80) وهذا لفظ ابن ماجه.

([2]) ـ وهذا توجيه لبعض العلماء، وسيأتي ذِكره والكلام عليه إن شاء الله.

([3]) ـ درء تعارض العقل والنقل (8 / 418) ط (طبعة على نفقة الملك فهد) ت/ د. محمد رشاد سالم، مجموع الفتاوى (8 / 304) ط (مكتبة ابن تيمية)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (صـ 36) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة، البداية والنهاية (1 / 197) ط (دار هجر)، شرح الطحاوية، لابن أبي العز (صـ 147) ط (المكتب الإسلامي) بيروت.

الإنكار بعضُ المعاصرين [1].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

((وَمَنْ كَذَّبَ بِهَذَا الْحَدِيثِ فَمُعَانِدٌ؛ لِأَنَّهُ مُتَوَاتِرٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَنَاهِيكَ بِهِ عَدَالَةً وَحِفْظًا وَإِتْقَانًا، ثُمَّ هُوَ مَرْوِيٌّ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ كَمَا ذَكَرْنَا)) [2].

((المسلك الثاني)):

قبول الحديث، والاحتجاج به على فِعل المعصية على وَفق مذهب الجبرية ((وهذا مسلك باطل)).

فقد احتج بهذا الحديث بعض الجبرية على مذهبهم في الجبر [3].

((المسلك الثالث)):

هو مسلك قبول الحديث، والقطع بعدم جواز الاحتجاج به على فِعل المعاصي، وتوجيه الاستشكال، (وهذا هو المسلك الصحيح) وهو مسلك أهل السنة والجماعة.

وأصحاب هذا المسلك اختلفوا في توجيه الحديث:

---

(1) ـ وممن أنكره (عدنان إبراهيم) وزعم بجهله أنه كذب !! وهذا رابط المحاضرة على اليوتيوب:
=https://www.youtube.com/results?search_query

(2) ـ البداية والنهاية، ابن كثير (1 / 198) ط (دار هجر).

(3) ـ مجموع الفتاوى (8 / 304) ط (مكتبة ابن تيمية)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (صـ 36 :37) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة، البداية والنهاية (1 / 197) ط (دار هجر).

فمنهم مَن تأوَّله ووجَّهَه بتأويلات ضعيفة ردًا على القدرية والجبرية، فكان مقصودهم صحيحًا، لكن توجيهاتهم وتأويلاتهم للحديث لم تكن صحيحة [1].

وهذه نبذة مختصرة عن بعض توجيهات أهل العلم وتأويلاتهم للحديث:

((نبذة مختصرة عن بعض توجيهات أهل العلم وتأويلاتهم للحديث)):

((التوجيه الأول)):

أن آدم ﷺ حجَّ موسى ﷺ؛ لأنه أبوه، فحَجَّه كما يحج الرجل ابنه؛ لأنه ليس للابن أن يلوم أباه [2].

وهذا توجيه ضعيف؛ لأن الحجة يجب المصير إليها، سواء كانت مع الأب أو الابن أو السيد أو العبد [3].

((التوجيه الثاني)):

وقيل: إن آدم ﷺ حجَّ موسى ﷺ؛ لأن الذنبَ كان في شريعةٍ

---

(1) ـ درء تعارض العقل والنقل (8 / 418) ط (طبعة على نفقة الملك فهد) ت/ د. محمد رشاد سالم، شرح الطحاوية، لابن أبي العز (صـ 143) ط (المكتب الإسلامي) بيروت.

(2) ـ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (6 / 543) رقم (2579) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة، مجموع الفتاوى (8 / 304) ط (مكتبة ابن تيمية)، شفاء العليل (صـ 37) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة، وفتح الباري (11 / 601) ط (دار الحديث) القاهرة، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (23 / 246) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

(3) ـ شفاء العليل (صـ 37) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة.

واللومُ في شريعةٍ أخرى، فلما كان الذنب واللوم في شريعتين مختلفتين حجَّ آدم ﷺ موسى ﷺ [1].

وهذا توجيه ضعيف من وجهين:

((الأول)):

لأن هذه الأمة تلوم مَن قبلها من الأمم المخالفة لرسلها، وهي أمم متقدمة عليها، وإن كانت لم تجمعهم شريعة واحدة، والله ﷻ يقبل شهادتهم عليهم وإن كانوا من غير أهل شريعتهم [2].

((الثاني)):

ولأن اختلاف الشريعتين لا تأثير له في الحجة بوجه من الوجوه إلا إنْ ثبت جوازه في شريعة آدم ﷺ [3]، وهذا ظاهر البطلان؛ إذ لو كان يجوز في شريعة آدم لذَكَره في حجته على موسى ﷺ، فضلًا عن إثبات برهان هذه الدعوى.

((التوجيه الثالث)):

قيل: إن آدم ﷺ حجَّ موسى ﷺ؛ لأنه لامه في غير دار التكليف، ولو لامه في دار التكليف لكانت الحجة لموسى ﷺ

---

(1) ـ مجموع الفتاوى (304/8) ط (مكتبة ابن تيمية)، شفاء العليل (صـ 37) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة، البداية والنهاية (198/1) ط (دار هجر)، وفتح الباري (601/11) ط (دار الحديث).

(2) ـ شفاء العليل (صـ 37) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة.

(3) ـ فتح الباري (11 / 601) ط (دار الحديث) القاهرة

على آدم ﷺ [1]، وهذا توجيه ضعيف من وجهين:

((الأول)):

لأن آدم لم يقُل له: لمتني في غير دار التكليف، ولو كانت الحجة في ذلك لذَكَره آدم ﷺ، ولكنه قال: أتلومني على أمر قُدر عليَّ قبل أن أُخلق، فلم يتعرض لذِكر الدار، وإنما احتج بالقدر السابق [2].

((الثاني)):

أنَّ الله سبحانه يلوم الملومين من عباده في غير دار التكليف، فيلومهم بعد الموت، ويلومهم يوم القيامة [3].

((التوجيه الرابع)):

أن آدم حجَّ موسى؛ لأنه ـ أي: آدم ـ تاب من الذنب، والتائب من الذنب كمَن لا ذنب له، فلا يصح أن يتوجه إليه اللوم [4]،

---

(1) ـ صحيح مسلم بشرح النووي (453/8) ط (دار أبي حيان)، مجموع الفتاوى (8 / 304) ط (مكتبة ابن تيمية)، شفاء العليل (صـ 37) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة، القاهرة، البداية والنهاية (1 / 198) ط (دار هجر) فتح الباري (11 / 601) ط (دار الحديث) القاهرة، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (23 / 246) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

(2) ـ شفاء العليل (صـ 37) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة.

(3) ـ شفاء العليل (صـ 37) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة.

(4) ـ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (6 / 543) رقم (2579) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة، صحيح مسلم بشرح النووي (8 / 453) ط (دار أبي حيان)، القاهرة، مجموع الفتاوى (8 / 304) ط (مكتبة ابن تيمية)، شفاء العليل (صـ 37) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة، البداية والنهاية (1 / 198 ، 199) ط (دار هجر)، وفتح الباري (11 / 601) ط (دار الحديث) القاهرة، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (23 / 246) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

وهذا توجيه ضعيف من وجوه:

((الأول)):

أن آدم ﷺ لم يذكر ذلك في جوابه، ولا جعله حجة على موسى ﷺ، ولا قال له: أتلومني على ذنب قد تُبْتُ منه [1] ؟!

((الثاني)):

أن موسى ﷺ، أعرف بالله وبأمره ودينه من أن يلوم آدم على ذنب قد تاب منه واجتباه ربنا بعده [2].

((الثالث)):

أن هذا التوجيه يستلزم إلغاء ما علَّق به النبي ﷺ وجه الحجة، واعتبار ما ألغاه النبي ﷺ لا يُلتفت إليه [3].

((التوجيه الخامس)):

أنَّ هذه الحجة خاصة بآدم ﷺ

وهذا القول رجحه الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال:

((وَأَمَّا قَوْلُهُ: أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِّرَ عَلَيَّ: فَهَذَا عِنْدِي مَخْصُوصٌ بِهِ آدَمُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ مِنْهُ وَمِنْ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بَعْدَ أَنْ تِيبَ عَلَى آدَمَ، وَبَعْدَ أَنْ تَلَقَّى مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ تَابَ بِهَا عَلَيْهِ، فَحَسُنَ مِنْهُ أَنْ

---

(1) ـ شفاء العليل (صـ 37) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة.

(2) ـ شفاء العليل (صـ 37)، (صـ 43) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة.

(3) ـ شفاء العليل (صـ 37) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة.

يَقُولَ ذَلِكَ لِمُوسَى؛ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ تِيبَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ، وَهَذَا غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَقُولَهُ الْيَوْمَ أَحَدٌ إِذَا أَتَى مَا نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهُ، وَيَحْتَجُّ بِمِثْلِ هَذَا، فَيَقُولُ: أَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ قَتَلْتُ أَوْ زَنَيْتُ أَوْ سَرَقْتُ، وَذَلِكَ قَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ وَقَدَّرَهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ هَذَا مَا لَا يَسُوغُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَهُ......)) [1].

قلت: وهذا التوجيه فيه نظر:

لأنَّ الأصل عدم الخصوصية ــ إلا بدليل معتبر ــ.

((التوجه السادس)):

أن آدم ﷺ حجَّ موسى ﷺ؛ لأن اللوم وقع على المصيبة التي وقعت بعد الذنب لا على الذنب، المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة، فاحتج آدم ﷺ بالقدر على المصيبة لا على الخطيئة، فإن القدر يُحتج به عند المصائب لا عند المعائب [2].

وهذا من التوجيهات القوية؛ ولذلك رجحه جماعة من أهل العلم، **منهم**: ابن تيمية [3]، وابن القيم [4]، وابن كثير [5]، وابن أبي العز [6]،

---

(1) ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر (374:373/14) ط (دار الفاروق الحديثة) القاهرة.

(2) ـ شفاء العليل (صـ 43) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة

(3) ـ مجموع الفتاوى (8 / 319) ط (مكتبة ابن تيمية).

(4) ـ شفاء العليل (صـ 43) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة.

(5) ـ البداية والنهاية (1 / 198، 199) ط (دار هجر).

(6) ـ شرح الطحاوية، لابن أبي العز (صـ 147) ط (المكتب الإسلامي) بيروت.

وابن رجب [1]، وغيرهم.

((التوجيه السابع)):

أن آدم ﷺ حج موسى ﷺ؛ لأن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع، ويضر في موضع، فينفع إذا احتجَّ به بعد وقوعه والتوبة منه وترْك معاودته: كما فعل آدم ﷺ، فيكون في ذِكر القدر إذ ذاك من التوحيد، ومعرفة أسماء الرب وصفاته [2].

قلت: وهذا توجيه قوي متجه.

وقد ذَكَر هذا القولَ الإمامُ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ -كجواب آخر عن هذا الحديث- حيث قال: ((وقد يتوجه جواب آخر..... وذَكَره)) [3].

((الترجيح)):

الراجح في نظري ــ والله أعلم، إن كان صوابًا فمن الله، وإن كان خطأً فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان ــ

المسألة لها شِقَّان:

((**الأول**)): عَلَامَ وقعت الملامة؟

((**الثاني**)): عَلَامَ احتج آدم ﷺ بالقدر؟

(1) ـ لطائف المعارف (صـ 68) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

(2) ـ شفاء العليل (صـ 37) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة.

(3) ـ شفاء العليل (صـ 43) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة.

((أما الأول)) عَلَامَ وقعت الملامة؟

فالملامة كانت على المصيبة التي وقعت بعد الذنب.

((برهان ذلك)):

ما سبق ذِكره من بيان ضعْف الملامة على الذنب بعد التوبة [1]،

ويؤيده: **روايات الحديث الدالة على ذلك، ومنها:**

أ ـ فقال له موسَى:

((أنت الَّذي أشقَيْتَ النَّاسَ، وأخرجتَهم من الجنَّةِ .....)) [2].

فذكر هنا مصيبة الخروج من الجنة.

ب ـ فقال موسى:

((أنتَ الَّذي خلقَك اللَّهُ بيدِه، ونفخَ فيكَ من روحِه، وأسجدَ لَك ملائِكتَه، وأسكنَك في جنَّتِه، ثمَّ أَهبطتَ النَّاسَ بخطيئتِكَ الأرضَ .....)) [3].

ج ـ قالَ له مُوسَى:

((أَنْتَ آدَمُ الذي أَغْوَيْتَ النَّاسَ، وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الجَنَّةِ .....)) [4].

---

(1) ـ انظر: (صـ 176).

(2) ـ رواه البخاري (4736)، ومسلم (2652).

(3) ـ رواه البخاري (6614)، ومسلم (2652).

(4) ـ رواه البخاري (6614)، ومسلم (2652).

د ـ قالَ له مُوسَى:

((يا آدَمُ، أنْتَ أبُونا، خَيَّبْتَنا، وأَخْرَجْتَنا مِنَ الجَنَّةِ .....)) [1].

فهذه الروايات تدل على أن موسى ﷺ لام آدم ﷺ على المصيبة التي وقعت بعد الذنب.

فإن قيل:

لكن ورد في هذه الروايات وغيرها ذِكْرُ الذنب:

((... ثمَّ أَهبطتَ النَّاسَ بخطيئتِكَ الأرضَ ...)).

((الجواب)):

إنما ورد ذِكر المعصية على لسان موسى ﷺ في بعض الروايات؛ للتنبيه على سبب المصيبة.

((أما الثاني)) عَلَامَ احتج آدم ﷺ بالقدر:

فقد احتج آدم ﷺ بالقدر على المصيبة؛ لأن الملامة كانت على المصيبة.

ولكنْ هناك مصيبتان:

الأولى: مصيبة الذنب؛ فإنه بعد التوبة منه يكون من جنس المصائب.

الثانية: مصيبة الخروج من الجنة، وهي نتيجة المصيبة الأولى.

([1]) ـ رواه البخاري (6614)، ومسلم (2652).

((والسؤال)):

أى المصيبتين احتجَّ عليها آدم ﷺ بالقدر؟

((الجواب)):

على المصيبتين، كما دلت على ذلك مجموع الروايات.

أما الاحتجاج على مصيبة الخروج من الجنة: فبرهانها:

قال رسول الله ﷺ: ((احْتَجَّ آدَمُ ومُوسَى، فقالَ له مُوسَى: يا آدَمُ، أنْتَ أبُونا، خَيَّبْتَنا وأَخْرَجْتَنا مِنَ الجَنَّةِ، قالَ له آدَمُ: يا مُوسَى، اصْطَفاكَ اللَّهُ بكَلامِهِ، وخَطَّ لكَ بيَدِهِ، أتَلُومُنِي على أمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أنْ يَخْلُقَنِي بأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى ـ ثلاثًا ـ)) [1]

وجه الاستدلال:

أن الملامة كانت على المصيبة؛ ولذلك كان الجواب على تقديرها ـ أي: المصيبة ـ عليه قبل خلْقه ﷺ.

أما الاحتجاج على مصيبة الذنب: فبرهانها:

رواية مسلم، وفيها: قال رسول الله ﷺ:

((احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عليهما السَّلَامُ عِنْدَ رَبِّهِمَا، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، قالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الذي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِن رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لكَ مَلَائِكَتَهُ، وَأَسْكَنَكَ في جَنَّتِهِ، ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ

([1]) ـ رواه البخاري (6614)، ومسلم (2652).

إلى الأَرْضِ، فَقالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الذي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ، وَأَعْطَاكَ الأَلْوَاحَ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شيءٍ، وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا، فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللَّهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ ؟ قالَ مُوسَى: بِأَرْبَعِينَ عَامًا، قالَ آدَمُ: فَهلْ وَجَدْتَ فِيهَا (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)، قالَ: نَعَمْ، قال: أَفَتَلُومُنِي على أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً ؟ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى)) [1].

وجه الاستدلال:

قوله: ((أَفَتَلُومُنِي علَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا))

فلو كان المقصود هنا:الخروج من الجنة، لما قال:((...أن عملت عملًا))

والاحتجاج بالقدر على الذنب بعد التوبة منه يكون من باب المصايب لا المعايب، والاحتجاج بالقدر في المصايب لا المعايب يجوز.

قلت: وقد يتوجه حمْل الرواية على أن آدم ﷺ ذكر سبب المصيبة التي لامه عليها موسى ﷺ، والله أعلم.

وبالله التوفيق ...

([1]) ـ رواه مسلم (2653).

الجزء الثاني من السؤال:

((إذا كان الله عز وجل أراد، وقَدَّر، وكتب المقادير وأعمال الناس، ففيمَ يعذبهم وقَد قَدَّر عليهم أعمالهم التي يُعذبون عليها ؟)).

وهذا السؤال من أخطر الأسئلة الشيطانية التي تطرأ على البال، ويكفينا فيه قوله تعالى: ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ فالخلق خلْقه، والملك مُلكه، يفعل ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما يشاء.

والجواب عن هذا السؤال من وجوه:

((الوجه الأول)):

أنَّ هذا القول فيه لوازم باطلة، ومنها:

اللازم الأول:

يلزم من هذا القول تصحيح مذهب الكفار، فمَن احتج بالقدر على الذنوب والمعاصي والكفر يلزمه تصحيح مذهب الكفار؛ لأنَّ الكفار احتجوا بالقدر كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ {الأنعام:148}.

فمَن احتج بالقدر يلزمه ذلك ــ تصحيح مذهب الكفار ــ ومَن لزمه ذلك يلزمه أيضًا: أن ينسب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الظلم؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يصحح

مذهب الكفار، ولم يقبل منهم هذه الحجة عندما قالوها، فمَن احتج بهذه الحجة لزمه هذا اللازم، وإذا بطل اللازم بطل الملزوم.

اللازم الثاني:

التناقض:

هذا الاحتجاج فيه تناقض، وهذا التناقض يدل على فساد القول؛ وبيان ذلك:

أنَّ الذي يحتج بالقدر لو اعتدى عليه واحد من الناس (سارق، قاتل، قاطع طريق.... إلخ) وأخذ ماله، وأصابه بجراحات، واحتج عليه بالقدر، فإنه لن يقبل منه ذلك، بل سيناقض مذهبه ومسلكه، وهذا التناقض يدل على فساد هذا القول وعلى فساد الاحتجاج بالقدر في المعايب، وتناقض هذه الحجة واضحٌ جليٌّ؛ لأنه ما من عقل ولا فطرة سويَّة سليمة تقبل -بحالٍ- أن يعتدي عليها ظالم (يسرق ماله، يحرق بيته، يقتل ولده) ثم يحتج بالقدر، ويُقبل منه، فهل يُعقل أن يعتدي إنسانٌ على إنسانٍ بهذه الصورة الفجَّة المنكرة، ثم يحتج عليه بالقدر؛ فيقبل حجته هذه ؟!

فمَن يحتج بالقدر على الذنوب والمعاصي والكفر.... إلخ، إذا فُعل معه ذلك فسيحاول أن يدفع عن نفسه بشتى الطرق والوسائل، ويناقض حجته، وهذا التناقض يدل على فساد هذا القول، وأنه يخالف العقل

والفطرة السليمتين.

اللازم الثالث:

أنه لو كان الاحتجاج بالقدر حجة مقبولة للزم من ذلك عدم انقطاع الحجة بإرسال الرسل: قال الله ﷻ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ {النساء:165}

بل لو كان هذا الاستشكال وهذا الاحتجاج حجة، فلن يكون هناك فائدة أصلًا من إرسال الرسل؛ لأنَّ وجود الرسل ما انقطعت به الحجة؛ لأنَّ الإنسان سيفعل ما أراده وكتبه الله ﷻ، وفي هذا طعنٌ في حكمة الله ﷻ، فهل يرسل ربنا ﷻ الرسل بغير حكمة ولا فائدة ؟! نعوذ بالله من ذلك؛ فربُّنا هو الحكيم العليم، فالذي يقول هذه المقالة هو جاهل بربه تبارك وتعالى.

اللازم الرابع:

من اللوازم الباطلة: التسوية بين المختلفين: فيتساوى المخطئ أو الناسي مع العامد، وهذا باطل بالشرع والفطرة والعقل.

فمثلًا: سيسوِّي بين مَن نسى الصلاة ومَن تعمد ترْك الصلاة، ومَن قال كلمة الكفر مختارًا ومَن قالها مُكرَهًا........ إلخ.

فهناك فرق بين المخطئ والناسي والـمُكْرَه، وبين الـمُتَعَمِّد، وهذا أمر

معلوم معروف، والقول بالاحتجاج بالقدر يتضمن التسوية بينهم، وهذا قول باطل، ينكره كل عاقل كما هو معلوم.

اللازم الخامس:

التسوية بين البَر والفاجر:

وهذا معلوم بطلانه بالشرع والفطرة والعقل؛ فالاحتجاج بالقدر سَيُسَوِّى بين الجميع: بين فرعون الذي قال: أنا ربكم الأعلى، ونبينا محمد ﷺ الذي دعا الناس إلى توحيد الله سبحانه وتعالى وإلى الصلاة وإلى السجود وقول: "سبحان ربى الأعلى"، يسوِّى بين مَن قتل وكفر وتجبَّر، ومَن أرسله ربه سبحانه وتعالى رحمةً للعالمين، وهذا أمر معلوم بالفطرة، ولا نحتاج إلى بيانه.

مثلًا: رجل: "قاتل، ومتكبر، وغليظ، وظالم، وسارق، وجبار، وعنيد، وكافر.......إلخ"

ورجل آخر عنده " رحمة، ودين، ومروءة، وعدل وإنصاف، وحُسْن خلق....إلخ"

فهل يستوي هذا مع ذاك ؟!

فمن اللوازم الباطلة _لهذه الحجة الواهية_ التسوية بين المختلفين.

وكيف يستوي عدو الله وولي الله ؟!

وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ {القلم: 35،36}

والاحتجاج بالقدر يسوِّى بينهما ــبين عدو الله وولي اللهــ ؛لأن فرعون سيقول: أنا فعلتُ ما فعلتُ بقدر الله، وربي هو الذي كتب عليَّ ذلك، وأراد [1] ذلك

والطائع يقول: أنا فعلتُ ما فعلتُ بقدر الله، وربي هو الذي كتب عليَّ ذلك، وأراد ذلك [2]

فيؤدى ذلك إلى التسوية بين مختلفين: بين عدو الله المحارب لدين الله، وولي الله الذي عاش عمره دفاعًا عن دين الله وشريعته.

اللازم السادس:

التفريق بين الأمر الأخروى والأمر الدنيوى

لأن الذين يحتجون بالقدر إنما يحتجون بالقدر على الأمور الأخروية التي فيها الطاعة والتكاليف الشرعية التي شرعها الله ﷻ، أما في أمور الدنيا: فإنهم لا يحتجون بالقدر، إذًا فهو جبري في أمر المعصية.

اللازم السابع:

مَن يتفوه بهذه الحجة الساقطة فقد شَبَّه نفسه بالمجانين والصبيان

الذي يقول: أنا إن فعلتُ ما قدره الله ﷻ فلِمَ يعذبني ؟

فهذا القول كأنه فيه رفْعٌ للتكليف عن قائله؛ لأنه غير مُؤاخَذ على

(1) ـ المقصود بالإرادة هنا: الإرادة الكونية لا الشرعية.

(2) ـ والمقصود هنا: الإرادة الكونية والشرعية (في الجملة).

فِعله؛ لأن الله ﷻ هو الذي قدَّره عليه ــ على وَفق منهجهم السقيم ــ فقد شبه نفسه بغير المكلفين: كالمجانين والصبيان، لكن هذا الذي قال ذلك لو عُومِلَ في أمور دنياه معاملة الصبيان والمجانين لم يرضَ بهذه المعاملة، وتخيل لو قلنا له: ما دمتَ تقول هذه المقولة فسنأخذ أموالك، ونجعل هناك وليًا عليك، فلا تنفق شيئًا من مالك دون هذا الولي، فهل يقبل هذا ؟

لا، لكنه في أمور الطاعة جعل نفسه غير مُكلَّف: كالمجنون والصبى.

اللازم الثامن:

لو قبلنا هذا الاحتجاج لما كانت هناك حاجة للاستغفار ولا التوبة ولا الدعاء ولا الجهاد ولا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهذا لازم باطل، وإذا بطل اللازم بطل الملزوم.

اللازم التاسع:

تعطيل المصالح وعموم الفوضى

لو كان الاحتجاج القدر حجة في المعائب والذنوب لتعطلت مصالح الناس، ولعمَّت الفوضى، ولما كان هناك داعٍ للحدود ولا الجزاءات ولا التعذيرات ولا العقوبة للمسيء؛ لأنَّ الكل سيحتجُّ بالقدر، ولما احتجنا إلى وَضْع المحاكم ولا العقوبات للظلمة وقطاع الطريق، ولا احتجنا

لمناصب القضاء؛ لأنَّ كل ما وقع إنما وقع بقدر الله ﷻ، وهذا لا يقبله شرع ولا عقل ولا فطرة.

وكل هذه لوازم باطلة لهذه المقالة الفاسدة، وإذا بطل اللازم بطل الملزوم.

الوجه الثالث:

مناقشة هذا الاستدلال، وسيتضمن أيضًا تضعيفًا لهذا الاستدلال من وجوهٍ نظريةٍ.

الوجه الأول:

سؤال: مَن الذي يسأل هذا السؤال ؟

الجواب: هذا السؤال هو للبطالين والكسالى والمتجرِّئين على المعاصي أو الجهلة؛ بدليل أنهم يذكرون هذا الدليل في المعاصي فقط، ولا يذكرونه في الطاعة، مع أن الله ﷻ قدَّر عليهم الطاعة والمعصية، ويثيبهم ربنا تبارك وتعالى عليها، فمقتضى الإنصاف أن يذكر تقدير المعصية والعذاب، والطاعة والأجر والثواب.

ولكنهم يذكرونه في المعصية لتبرير التقصير.

الوجه الثاني:

هم لا يحتجون بالقدر في دنياهم، ولا يستشكلون ذلك عند شهواتهم: كالأكل والشرب ومتاع الدنيا، لكن يقولون ذلك عند الطاعة فقط، ولا يقولونه عند الإساءة إليهم !!

فمثلًا: لو وَجَدَ واحدٌ من هؤلاء الذين يحتجون بالقدر رجلًا يسرق بيته في الليل، ويهتك عرْضه، فهل يتركه ولا يعاقبه بحجة أنه فعل ما فعل بقَدَر الله، فعلامَ نعاقبه ؟!

فتأمل: يريدون الحجة على الله ﷻ وهم لا يقبلونها !!

فلا يقبلونها في الإساءة إليهم والمحافظة على أرزاقهم، وهذا يدل على جهلهم وجهالتهم، وأنهم يبحثون عن مُسوِّغ لمعاصيهم وتقصيرهم.

الوجه الثالث:

سؤال: هل ربنا ﷻ سيحاسبك على اختيارك وأفعالك، أو سيحاسبك على ما كتبه عليك، وقدَّره لك، وأراده لك؟

الجواب: يحاسبك ربنا ﷻ على اختيارك وأفعالك؛ إذ المقدور أنواع: فهناك مقدور فيه تكليف واختيار، وهناك مقدور ليس فيه تكليف ولا اختيار، وهذا لا تُحاسب عليه، فلا يحاسبك الله ﷻ على أبيك أو أمك أو أخيك أو أختك [1]؛ لأنك ما اخترت ذلك؛ فالإنسان – مثلًا – وُلد في عائلة كافرة، فلا يحاسبه ربنا ﷻ على ذلك، ولا يحاسبك الله ﷻ على شكلك ولا لونك ولا طولك؛ لأنَّ هذه أشياء لا اختيار لك فيها.

[1] ـ والمقصود هنا: أن الإنسان لا يُسأل عن أبيه وأمه ــ مثلًا ــ لأنه لا اختيار له في ذلك، وليس المقصود أنه لا يُسأل عن أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر إذا رأى ذلك ــ بضوابطه ــ ورِضاه بالسوء ومشاركته فيه معهم...إلخ.

إنما يحاسبك الله ﷻ على محل الاختيار ومحل التكليف؛ ولذلك الصبي والمجنون غير مُكلَّفين؛ لعدم أهلية الاختيار، فالذي يحتج بهذه الحجة نقول له: إنما حاسبك الله ﷻ على اختيارك وفِعلك الذي كتبه وأراده لك [1].

وهذا أمر يعلمه الجميع، فالذي يفعل الطاعة يعلم أنه فعلها باختياره وإرادته، والإنسان ينظر ويفكر ويختار، وكل إنسان يعرف ذلك من نفسه جيدًا.

الوجه الرابع:

هذا الاعتقاد ـ أن الله عَلِمَ، وأراد، وكتب، وخلق، أفعال العباد وأعمالهم – من لوازم ربوبية الله ﷻ، **ألَّا يكون في مُلكه إلا ما أراده الله ﷻ**.

وإلا فلنسأل صاحب هذه الحجة ـ إذا كان الله أراد للعباد أفعالهم التي فعلوها فعلامَ يعذبهم ؟ ـ نسأله:

ما اعتقادك البديل يا مَن تستشكل هذا الاستشكال ؟

يا مَن يقول: لو قدَّر الله ﷻ عليَّ كذا من الذنوب، وأراد أن يكون هذا الأمر موجودًا، فعلامَ يعذبني؟ نسأله: وما القول البديل والمعتقد البديل عندك؟

---

(1) ـ وسيأتي الجواب عن جزئية: (إذا كان الله أراد للعباد أفعالهم، فعلامَ يعذبهم ؟) في الوجه الرابع.

((الجواب)):

الاعتقاد البديل أن تقول بقول القدرية: أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق أفعال العباد، ولم يشأ ربنا سبحانه وتعالى ما يفعله العباد.

وهذا من أقبح وأفحش ما يكون!

((برهان ذلك)):

أ ـ أن قائله سيعتقد أنَّ هناك أشياء في ملك الله سبحانه وتعالى قد حدثت، والله ما كان يريدها [1]، وهذا طعن في ربوبية الله جل جلاله؛ إذ كيف يكون في مُلْك الله سبحانه وتعالى ما لا يريده الله جل جلاله !!

ب ـ وأن قائل هذا القول سيجعل مشيئة العبد فوق مشيئة الرَّب سبحانه وتعالى، فيجعل مشيئة العبد الفقير المخلوق نافذة على مشيئة الخالق ــ تعالى الله عن ذلك ــ وهذا تكذيب للقرآن؛ حيث قال الله جل جلاله:

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ {التكوير:29}

ج ـ أنَّ قائل هذا القول سيجعل للكون خالقًا، وهو الله سبحانه وتعالى، وسيجعل أعدادًا من الناس ــلا يعلمهم إلا اللهــ يخلقون أفعالهم،وسيجعل للكون الكثير والكثير من الخالقين ــلأعمالهم وأفعالهمــ غير الله، وهو القائل: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ {الصافات:96}.

([1]) ـ المقصود هنا: ما كان يريدها ((كونًا)).

فانظر لفُحْش هذا القول الباطل المنكر الذي لا يقول به عاقلٌ ذو فطرة سليمة، فأيهما يقدِّم المسلم؟

الاستسلام لله الذي دل عليه الدليل،أو الدخول في خِضَمِّ الشرك،وأنَّ يثبت لهذا الكون خالقين غير الله تبارك وتعالى؟

تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا!

الوجه الخامس:

مَن يقول: (إذا كان الله قدَّر الأشياء وأرادها، فعلامَ يعذبني وقد فعلتها بقَدَره ؟)

نقول لقائل هذا القول:

((واعلم كما أنك فعلت الفجور، وتركت الفرائض، وارتكبت المنكرات والفواحش.....إلخ، بقدر الله، فكذلك سيعذبك الله في النار بقدره)).

الوجه السادس:

أنَّ هذا الإشكال هو ابتلاء من الله ﷻ، وفيه اختبار من الله ﷻ للعبد حتى يرى الله ﷻ من المسلم الذي يستسلم لله ﷻ ويؤمن بربه ﷻ، وأنه لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، وأن الله ليس بظلام للعبيد، ومَن الجاهل المتجرئ على ربه ﷻ الذي يخوض فيما لا عِلم له به، ولا يسير خلف الدليل وخلف جانب العبودية لله ﷻ.

وقد يكون هذا السر مجهولًا لا تدركه العقول غاية الإدراك في هذا الوقت؛ من باب البلاء والاختبار من الله ﷻ، لكن سيُكشف ويُظهر يوم القيامة، ويستوعب الإنسان هذه المسألة، وحينها يفرح مَن استسلم لربه ﷻ في الدنيا، ويحزن المتجرِّئ على ربه ﷻ؛ لأنَّ هذه العقول عقول قاصرة، والقدر سِرٌّ من أسرار الله ﷻ، والمسلم يكفيه الاستسلام لله ﷻ على وَفق عقيدة أهل السنه والجماعة.

أما خلاف ذلك: فظلمات بعضها فوق بعض:

ـــ إما اعتقاد القدرية الذين يثبتون خَالِقِين غير الله ﷻ في هذا الكون، وأن مشيئة العبد فوق مشيئة الرب، وأنه يكون في مُلك الله ما لم يُرِده ـــ كونًا ـــ.

أو اعتقاد الجبرية الذين يقولون أن الله جبر الناس على ما يفعلونه، وهذا فيه نسبة الظلم لله ﷻ، والله سبحانه وتعالى مُنزَّه عن ذلك.

الوجه السابع:

نقول: هذا الاعتقاد هو الاعتقاد السليم: أن نؤمن أن الله قدَّر أشياء، وأراد أشياء، وما قدَّره وأراده [1] سيكون، لكنه ﷻ خلق لك السمع والأبصار والأفئدة، وخلق لك فعلًا واختيارًا، وسيحاسبك على هذا الفعل وهذا الاختيار ﷻ.

([1]) ـ والمقصود: ما أراده كونًا؛ لأن هناك مَن يخالف الإرادة الشرعية.

هذا هو الاعتقاد السليم الذي دلت عليه الأدلة، وسار عليه الصحابة رضي الله عنهم وعلماء أهل السنة رحمهم الله.

والله أعلم ...

وبالله التوفيق ...

خطأ فادح في الجواب عن هذا الإشكال!

وهنا ننوِّه على خطأ كبير يقع فيه الكثير من الطلبة والمشايخ، وربما وقع فيه بعض أهل السنة والجماعة _بغير قصد_ عند إجابتهم عن هذا الاستشكال في باب القدر، فربما أتَوْا بإجابة ظاهرُها الإقناعُ، ولكن باطنُها الاعتزالُ -دون قصدٍ-، ومضمون هذا الجواب:

كون الله قدَّر المقادير على العباد -ومنها الذنوب والمعاصي والكفر- فكيف يعذِّبهم على ما قدَّره عليهم؟

قالوا:

الإجابة عن هذا السؤال: أشبه بمدرس عنده تلاميذ، وهو يعلم مستوياتهم، فيقيِّمهم على ما يلي: (منصور) تلميذ بليد، لا يتعب ولا يكِدُّ، ولا يذاكر، ولن ينجح في هذا العام، وستكون درجته واحدًا من عشرة -مثلًا-، وأما هذا التلميذ (محمد): فمجتهد ومُجِد، وسينجح، وستكون درجته هذا العام عشرة من عشرة: امتياز.

ووُضعت الاختبارات، وبالفعل وُضعت الامتحانات، فإذا بالطالب البليد يأتي بدرجة واحد من عشرة، أما الطالب المجتهد: فيأتي بدرجة عشرة من عشرة، كما عَلِمَ المدرس.

ثم قالوا:

هل هذا المدرس أجبر التلميذ البليد أن يأتي بهذه الدرجة السيئة ؟

وهل للتلميذ أن يقول أن المدرس قدَّر لي ذلك وكتبه قبل الاختبار، وهو السبب فيما أنا فيه ؟

الجواب: لا، بلا شك.

وكذلك ربنا ﷻ -وله المثل الأعلى-: كونه كتب المقادير، وعَلِمَهَا، وكتب ما يفعله العباد، فهذا لا جبرَ فيه.

ومن الأمثلة الشائعة في الجواب عن هذا السؤال:

أمٌّ عندها طفلان " أحمد ومحمد "، وقد أعدت لهما الطعام، وكلاهما _ أي: الطفلين _ كانا نائمين، وتركت الأم لهما طعامًا عبارة عن "أَرُز ومعكرونة"، وخرجت الأم من البيت، وقالت: محمد عندما يقوم سيأكل المعكرونة ويترك الأَرُز، وأحمد سيأكل الأَرُز وسيترك المعكرونة، وبالفعل قام الطفلان، وفَعَلَا ما قالته الأم.

هذا من أشهر الأمثلة في الجواب عن إشكالية الاحتجاج بالقَدَر.

وهذه الأمثلة: وإن كان ظاهرها الإقناع، لكن باطنها قول القدرية والاعتزال؛ لأنَّ هذه الأمثلة أغفلت إرادة الله ﷻ لفِعل العبد، وإنما ذَكَرَت الأمثلةُ العلمَ فقط، والكلام على العلم قال به متأخرو القدرية، بخلاف القدرية الأوائل الذين كانوا ينفون الخلق والعلم، أما متأخرو القدرية: فأثبتوا لله العلم، ونفوا الخلق، وقالوا أن العباد هم الذين يخلقون

أفعالهم [1]،فهذا المثال مثال باطل ناقص،والنقص فيه في مسألة الإرادة؛ ولذلك نقول:

ربنا ﷻ ما كَتَبَ فقط، وما عَلِمَ فقط، وإنما مع ذلك خلق وأراد، فالذي كفر وأشرك أراد الله سبحانه وتعالى له ذلك كونًا؛ لحكمة بالغة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى ولعدله سبحانه وتعالى؛ لأن هذا العبد يستحق ذلك.

فهذه الأمثلة ينبغي أن تُعَدَّل وتُضْبط بضوابط أهل السنة والجماعة، ولا يغرنَّك كثرة المتفوهين بها وشهرتهم!

وبالله التوفيق...

([1]) ـ وقد سبق ذِكر أقسامهم الثلاثة من قبلُ باختصار، انظر: (صـ 22).

((بعض آثار السلف _رحمهم الله_ في الرد على هذا الإشكال))

جواب سالم بن عبد الله بن عمر رَحِمَهُ اللهُ:

أ ـ عَنْ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: أَيَزْنِي الرَّجُلُ بِقَدَرٍ ؟ فَقَالَ: نَعَمْ،

قَالَ: أَشَيْءٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ: نَعَمْ،

قَالَ: فَيُعَذِّبُهُ عَلَيْهِ وَقَدْ كَتَبَهُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ: فَحَصَبَهُ [1].

جواب إِيَاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ:

ب ـ عن حبيب بن الشَّهِيدِ، قَالَ :سَمِعْتُ إِيَاسَ بْنَ مُعَاوِيَةَ يَقُولُ: مَا كَلَّمْتُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ بِعَقْلِي كُلِّهِ إِلَّا الْقَدَرِيَّةَ، فَإِنِّي قُلْتُ لَهُمْ: ((مَا الظُّلْمُ فِيكُمْ ؟)) فَقَالُوا: أَنْ يَأْخُذَ الْإِنْسَانُ مَا لَيْسَ لَهُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: ((فَإِنَّ لِلَّهِ كُلَّ شَيْءٍ)) [2].

جواب أبي إِسْحَاق الإسفراييني رَحِمَهُ اللهُ:

وهي مناظرة مشهورة بَين الْأُسْتَاذ أبي إِسْحَاق الإسفراييني وَالْقَاضِي عبد الْجَبَّار المعتزلي، وفيها:

قَالَ عبد الْجَبَّار فِي ابْتِدَاء جُلُوسه للمناظرة: **سُبْحَانَ مَن تنزه عَن الْفَحْشَاء،**

---

(1) ـ شرح أصول الاعتقاد (1270).

(2) ـ شرح أصول الاعتقاد (1280)، الشريعة (478).

فَقَالَ الْأُسْتَاذ مجيبًا: ((**سُبْحَانَ مَن لَا يَقع فِي مُلكه إِلَّا مَا يَشَاء**))

فَقَالَ عبد الْجَبَّار: ((**أفيشاء رَبنَا أَن يُعْصى ؟**))

فَقَالَ الْأُسْتَاذ: ((**أيُعصى رَبنَا قهرًا ؟**))

فَقَالَ عبد الْجَبَّار: ((**أَفَرَأَيْت إِن مَنَعَنِي الْهُدى، وَقضى عَليّ بالرَّدى، أحسن إِلَيّ أم أسا ؟**))

فَقَالَ الْأُسْتَاذ: ((**إِن كَانَ مَنعك مَا هُوَ لَك فقد أسا، وَإِن مَنعك مَا هُوَ لَهُ فَيخْتَص برحمته مَن يشا**)) فَانْقَطع عبد الْجَبَّار [1].

([1]) ـ طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي (2 / 512) رقم (358) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

بعض المأثورات في نِكاية مَن كذَّب بالقدر أو خالف الحق، وخِزْيهم، وإِفْحامهم:

أ ـ قَالَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ قال:

((جَعَلَ رَجُلٌ لِرَجُلٍ جُعْلًا عَلَى أَنْ يَعْبُرَ نَهَرًا، قَالَ: فَعَبَرَ حَتَّى إِذَا قَرُبَ مِنَ الشَّطِّ، فَقَالَ: عَبَرْتُ وَاللَّهِ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ :قُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: شَاءَ أَوْ لَمْ يَشَأْ، قَالَ: فَأَخَذَتْهُ الْأَرْضُ)) [1].

وفي رواية: ((فَغَاصَ وَلَمْ يَخْرُجْ)) [2].

ب ـ عَنْ مَرْحُومٍ الْعَطَّارِ، قَالَ:

((أَتَانِي رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنَّ أَخِي هَذَا أَرَادَ شِرَاءَ جَارِيَةٍ مِنْ فُلَانٍ، وَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يَسْتَعِينَ بِرَأْيِكَ، فَقُمْ مَعَنَا إِلَيْهِ، فَانْطَلَقْنَا إِلَيْهِ، فَإِذَا رَجُلٌ مُثْرٍ، فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ، قُلْنَا: جَارِيَتُكَ فُلَانَةُ أَرَادَ هَذَا الرَّجُلُ يَعْتَرِضُهَا، قَالَ: نَعَمْ قَدْ حَضَرَ الْغَدَاءُ، فَتَغَدُّوا، وَأُخْرِجُهَا إِلَيْكُمْ، فَقُلْنَا: هَاتِ غَدَاءَكَ، فَتَغَدَّيْنَا، ثُمَّ قَالَ: لَا يَسْقِيكُمُ الْمَاءَ إِلَّا مَنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَعْتَرِضُوهُ، ادْعُوا فُلَانَةَ، قَالَ: فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ وَضِيئَةٌ، فَقَالَ لَهَا: اسْقِينِي، فَجَاءَتْ بِقَدَحِ زُجَاجٍ، فَصَبَّتْ لَهُ مَاءً، فَوَضَعَهُ عَلَى رَاحَتِهِ، ثُمَّ

([1]) ـ رواه اللالكائي في (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) (4 / 492) رقم (1339) ط (المكتبة الإسلامية) القاهرة.

([2]) ـ الإبانة، ابن بطة (3 / 60) رقم (1507) وسنده صحيح، ط (دار الحديث) القاهرة.

رَفَعَهُ إِلَى فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، يَزْعُمُ نَاسٌ أَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَشْرَبُ هَذَا ؟ وَتَرَى هَاهُنَا حَائِلًا، ثُمَّ قَالَ: فَأَنَا لَا أَشْرَبُهُ، فَتَرَى هَاهُنَا مُكْرِهًا ؟

ثُمَّ قَالَ: هِيَ حُرَّةٌ إِنْ لَمْ أَشْرَبْهُ، فَضَرَبَتِ الْقَدَحَ بِرُدْنِ قَمِيصِهَا، فَوَقَعَ الْقَدَحُ، وَانْكَسَرَ، وَاهْرَاقَ الْمَاءُ، فَخَرَجَتْ مَعَنَا مُقَنَّعَةً، فَكَانَتْ تُدْعَى: مَوْلَاةُ السُّنَّةِ)) [1] .

ج ـ قَالَ عَبْدُ الْمَجِيدِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي رَوَّادٍ:

((كُنَّا مَعَ إِنْسَانٍ يَتَكَلَّمُ فِي الْقَدَرِ، فَأَخَذَ بَيْضَةً، وَكُنَّا نَأْكُلُ بِيضًا وَخُبْزًا، فَقَالَ: هَذِهِ الْبَيْضَةُ إِنْ شِئْتُ أَكَلْتُهَا وَإِنْ شِئْتُ لَمْ آكُلْهَا، قَالَ: فَقُلْنَا لَهُ: فَشَأْ، قَالَ: فَأَنَا أَشَاءُ، قَالَ: فَأَدْخَلَهَا فِي فِيهِ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِنَا جَلْدَانِ فَفَكَّا لَحْيَيْهِ حَتَّى رَمَاهَا، فَقَالَا: زَعَمْتَ أَنَّكَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ لَوْ شِئْتَ لَأَكَلْتَهَا، وَلَكِنَّ الْمَشِيئَةَ إِلَى اللَّهِ شَاءَ أَلَّا تَأْكُلَهَا، فَطَرَحْتَهَا)) [2].

وانظر لهذا الرد المفحِم من أعرابيٍّ لقَدَريٍّ ينفي خلْق الله لأفعال العباد:

د ـ رُوِيَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ عَمْرَو بْنَ عُبَيْدٍ، فَقَالَ لَهُ:

((إِنَّ نَاقَتِي سُرِقَتْ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَرُدَّهَا عَلَيَّ، فَقَالَ:

«اللَّهُمَّ إِنَّ نَاقَةَ هَذَا الْفَقِيرِ سُرِقَتْ، وَلَمْ تُرِدْ سَرِقَتَهَا، اللَّهُمَّ ارْدُدْهَا عَلَيْه»

([1]) ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة (4 / 492) رقم (1340) ط (المكتبة الإسلامية) القاهرة.

([2]) ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة (4 / 492) رقم (1341) ط (المكتبة الإسلامية) القاهرة.

فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: يَا شَيْخُ، الْآنَ ذَهَبَتْ نَاقَتِي وَأَيِسْتُ مِنْهَا.

قَالَ: وَكَيْفَ ؟

قَالَ: لِأَنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَلَّا تُسْرَقَ فَسُرِقَتْ، لَمْ آمَنْ أَنْ يُرِيدَ رُجُوعَهَا فَلَا تَرْجِعَ، وَنَهَضَ مِنْ عِنْدِهِ مُنْصَرِفًا)) [1].

تم بحمد الله

[1] ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة (4 / 508) رقم (1376) ط (المكتبة الإسلامية) القاهرة.

((الخاتمة))

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

هذا ما تيسَّر لنا جمْعه، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأسأل الله الكريم أن يجعلني ممن وُفِّقَ إلى مراده القويم، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، ويقبله من عبده المسكين، وينفع به المسلمين؛ إنه جواد كريم.

ونسأله تعالى:

أن يجمعنا على ما يرضيه، وأن يُمَسِّكَنا جميعًا بحبله المتين وصراطه المستقيم.

ونسأله تعالى:

أن يقِرَّ أعيننا بنصْر السنة، وقمْع البدعة، وظهور عقيدة أهل السنة.

ونسأله تعالى:

أن يرفع عن بلادنا وبلاد المسلمين: الوباء، والبلاء، والغُمة؛ وأن يتوب علينا لنتوب، ويهدينا إلى مراضيه، ويعتق رقابنا من النار؛

إنه بالإجابة كفيل، وهو على كل شيء قدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلِّ اللهم وسلِّم وبارِك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

وبالله التوفيق ...

وكتبه : أبو عبد الله السكندري المصري

محمد أنور محمد مرسال

الاثنين / الثالث من شهر رجب (1442 هـ)

الموافق: 15 / فبراير/ 2021 م

فهرس الموضوعات

((صَدَرَ للمؤلف))

1. أسئلة مُشكِلة في القدر.
2. الجامع المحرَّر في أحكام عاشوراء والمحرم.
3. علامات القول الشاذ- بين التأصيل والتطبيق.
4. أصول أهل السنة والجماعة في صفات الله عز وجل.
5. قواعد وضوابط تأصيلية في التكفير وتوحيد الألوهية.
6. أصول الفرق المخالِفة لأهل السنة والجماعة في الصفات.
7. الرد على شبهات مَن أباح الموسيقى والأغنيات.
8. تحرير المسائل والاقوال في صيام الستة من شوال.
9. مسائل فقهية مهمة يكثر السؤال عنها.
10. المعونة في حكم إخراج زكاة الفطر معكرونة.
11. القول الجلي في الاحتفال بالمولد النبوي.
12. اللمعة في حكم اجتماع العيد مع الجمعة.
13. خلاصة الكلام في إفراد السبت بالصيام.
14. الدرر البهية من حياة ابن تيمية.
15. القول المبتوت في حكم صلاة الجمعة في البيوت.
16. مكايد الشيطان.
17. حكم الصيام بعد منتصف شعبان.

18ـ الاختصار في أحكام الانتحار.

19ـ هل يجوز للمرأة أن تصوم الستة من شوال قبل قضاء ما عليها من رمضان ؟

20 ـ كيف أخشع في صلاتي ؟

21 ـ أحكام فقهية مهمة لقارئ القرآن في شهر رمضان.

22 ـ فقه الأضحية (شرح متن الغاية والتقريب).

23 ـ شرح كتاب الصيام (شرح عمدة الأحكام).

24 ـ عيد الأم– بين الوهم والحقيقة.

25 ـ كنوز مهجورة.

26 ـ أسباب الفرح في رمضان.

27 ـ خدعوك فقالوا.

28 ـ 100 سبب لمغفرة الذنوب.

29ـ حوار مع مسلمة.

30ـ مخالفات تقع فيها النساء.

31ـ مخالفات يقع فيها الرجال.

32ـ حكم الصيام بعد منتصف شعبان.

33ـ كيف أتدبر القرآن ؟

34ـ حكم الاحتفال والتهنئة بالكريسماس.

35ـ رسالة لكل مريض: (لا تحزن).

36ـ فضل تلاوة القرآن.

37ـ رسالة إليك أخي التاجر !

38 ـ المختصر في مسائل القدر.

39 ـ فضل المطر في القرآن والسُّنة.

40 ـ الاستسقاء بالأنواء (حكم قول: مُطِرْنا بنوءِ كذا وكذا).

41 ـ فقه الأضحية (شرح متن " الياقوت النفيس ").

وغير ذلك بحول الله وفضله.